ⓒمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله
شرح كتاب الشبهات لشيخ الاسلام الامام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله./ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز.. الرياض، ١٤٣٠هـ
..ص؛ .. سم
ردمك: ١-٢-٩٢-٩٠٠٩٢-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد ٢- العقيدة الاسلامية - دنع مطاعن أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٠/٦٤٣٠

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٦٤٣٠
ردمك: ١-٢-٩٢-٩٠٠٩٢-٦٠٣-٩٧٨

شرح

سماحة الشيخ الإمام

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

على

كتاب كشف الشبهات

للشَّيخِ محمد بن عبدالوهاب

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة اللجنة العلمية

الحمد لله وصلى الله على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه أمّا بعد:

فيطيب للجنة العلمية في مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله لكتاب كشف الشبهات ضمن سلسلة إصداراتها لشروح وتعليقات سماحته على كتب أهل العلم.

وكتاب كشف الشبهات هو للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الذي كرّس حياته للدفاع عن التوحيد، ونشر تعاليمه ومحاسنه في أرض الجزيرة العربية، فأرسل الرسائل وألَّف الكتب، ومنها هذا الكتاب، كشف الشبهات، الذي أورد فيه بعض الشبه التي يثيرها الذين خلطوا التوحيد بالشرك ودحضها رحمه الله بنصوص الكتاب والسنة، وقد قام الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بشرح الكتاب والتعليق عليه بأسلوب واضح ليسهل على القارئ فهمه وليميز دين المرسلين ودعوتهم عن دين المشركين وعبادتهم.

وهذا الشرح هو عبارة عن تفريغ من أشرطة تسجيل صوتي لسماحته رحمه الله لدروس كان يلقيها على طلابه، وقد اعتنى به فضيلة الشيخ علي بن صالح بن عبد الهادي المريِّ وفقه الله.

وقد رأت اللجنة العلمية في مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز إخراجه ليعم نفعه وخيره الأمة .

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجزي شيخنا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له المثوبة والأجر، ويعلي منزلته في الآخرة، إنّه سمبع قريب .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللجنة العلمية

بمؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

تعريف الشارح بالكتاب

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المسمى كشف الشبهات :

عباد القبور لهم شبهات كثيرة يوردونها على الدعاة إلى الله، يلبسون بها على بعض الناس في دعوتهم الأموات واستغاثتهم بالملائكة والأنبياء ونحو ذلك، يقولون لهم: هؤلاء لهم جاه عند الله، ولهم شفاعة عند الله، وهم مقربون عند الله، وإنا نطلب منهم الشفاعة، نطلب منهم القربى، نعرف أنهم لا يتصرفون بأنفسهم، وأنهم لا يخلقون، ولا يرزقون، ولكن نريد شفاعتهم، نريد تقريبهم لنا إلى الله زلفى، نريد أن ينفعونا بشفاعتهم، يشبهون على الناس.

والمؤلف كتب هذه الرسالة ـ كشف الشبهات ـ لإيضاح الشبهات وإبطالها، وبيان أن هذه الشبهات لا تلتبس على أهل العلم والإيمان، وقد أوضح الرسول ﷺ إبطالها، وأوضح القرآن إبطالها.

❊ ❊ ❊

حقيقة التوحيد

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كشف الشبهات:

[بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم رحمك اللّه أن التوحيد: هو إفراد اللّه سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم اللّه به إلى عباده، فأوَّلُهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لمّا غلوا في الصالحين: وِدٌّ، وسواع، ويغوثَ، ويعوقَ، ونسرًا، وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسَّر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبدون، ويحجون، ويتصدقون، ويذكرون اللّه كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله إليهم محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، لا يصلح منه شيء لغيره، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما وإلا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأنّ جميع السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها، كلّهم عبيده وتحت تصرّفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بذلك فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] وقوله تعالى:

﴿قُلْ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[المؤمنون: ٨٤-٨٩] وغير ذلك من الآيات.

الشرح

يقول رحمه الله: اعلم ـ يعني: أيها القارئ، أيها المسلم ـ أن التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، هو دين الله قال جلّ وعلا: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنة: ٥] .

فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، من أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ كما قال جلّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النّحل: ٣٦] هذا دين الرسل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد كان عليه نوح، وقبله آدم وذريته، وهكذا الرسل بعده؛ هم على هذا، فلمّا حدث الشّرك في قوم نوح وأشركوا بودٍّ وسواع ويغوث ونسرًا أرسل الله إليهم نوحاً عليه الصلاة والسلام ينهاهم عن عبادة هذه الصور (الأصنام)، وهم صوروهم ليتأسوا بهم، كانوا رجالاً صالحين، فلما هلكوا في قوم نوح، جاءهم الشيطان وقال: هؤلاء صفتهم كذا وصفتهم كذا وهم صالحون وأخيار، صَوِّرُوا صورهم وجعلوها في مجالسهم حتى تذكروا عبادتهم، حتى تقتدوا بهم، حتى يصيرهم بعد

ذلك إلى الشّرك، أو من بعدهم، فصوروها ونصبوها في مجالسهم، حتى طال عليهم الأمد فعبدوهم من دون الله، فالنّبي ﷺ لما بعثه الله، أنكر على المشركين عبادة الصالحين، وأخبرهم بما جرى لقوم نوح وأنزل الله عليه في ذلك سورة نوح، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، وِدّا وسواعَ ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا كانت موجودة في العرب، فأمر بتكسيرها لما فتح الله عليه مكة عليه الصلاة والسلام.

وكان المشركون يتعبدون عند هذه الأصنام وأشباهها، يرجون بركتها، وشفاعتها عند الله ونفعها، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ما يعتقدون أنها تخلق وترزق كما يظن المشركون الذين في زماننا، يظنون أن أولئك يعتقدون أنها تخلق وترزق، لا هم يعتقدون فيها أنها مخلوقة مربوبة لاتخلق ولا ترزق ولكن يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] ومع هذا كفّرهم الله، وأرسل إليهم رسوله وقاتلهم الرسول على هذا الشرك .

وهذا يبيّن للقارئ حقيقة الشرك وأنّه هو التشفع بالصالحين وطلبهم للقربى إلى الله، والذبح لهم، والنذر لهم، والسجود لهم، بقصد القربة والشفاعة ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] ما قالوا: إنها تخلق وترزق، والله بين هذا في كتابه العظيم قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يُونس: ٣١] سيعترفون، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾[الزخرف: ٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [الزُّمَر: ٣٨] ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤﴾

سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾[المؤمنون: ٨٤-٨٩].

والآيات كثيرة في هذا، كلها تدل على أنهم مقرّون بأن الله خالق الأرض، خالق السماء، خالق كل شيء، ولكنهم كفروا بطلبهم الشفاعة والقربة من الأنبياء والصالحين، والذبح لهم والنذر لهم ونحو ذلك، كفروا بهذا، و إلا هم يعلمون أن جميع المخلوقات الله خالقها، والله رازقها سبحانه وتعالى، هم مقرون بهذا وليس عندهم فيه شك، ولكنهم توسطوا بهم في طلب الشفاعة وفي طلب المغفرة وفي غير هذا من مطلوبهم، وقالوا: إنما تقربنا إليهم نرجو شفاعتهم وتقريبهم لنا، فبيّن اللّه بطلان هذا وأنّ هذا شرك أكبر وكفر وضلالة، وأنّ تعبدهم، وذبحهم لهم، ونذرهم لهم، ودعاءهم إيّاهم، كل هذا من الشرك الأكبر.

ولو اعتقدوا أنهم مخلوقون مرزوقون، ما دام صرفوا هذه العبادة لهم، واستغاثوا بهم ونذروا لهم، وذبحوا لهم، هذا هو الشرك، فلعل هؤلاء المتأخرين إذا بُصِّرُوا يتبصَّرون، وإذا ذُكِّروا يتذكرون بما عليه أهل الشرك، وأن هذا الذي هم عليه هو شرك المشركين الأولين.

وهؤلاء زادوا على الأولين أيضاً؛ لأن شركهم دائم في الرخاء والشدة، والأولون في حال الرخاء خاصة، أمّا في حال الشدائد فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] .

أما هؤلاء المشركون عباد البدوي، وعباد الحسين، وعباد الجيلاني وغيرهم، هؤلاء شركهم دائم في الرخاء والشدة، نعوذ بالله،

فهم أشد شركاً من الأولين وأعظم إثماً وأقبح، وبعضهم يشرك في الربوبية، وبعضهم يجعل معبوداتهم تشارك الله في تصريف الكون، شرك آخر، شرك في الربوبية نعوذ بالله.

فالمقصود أن شرك المتأخرين أعظم من شرك الأولين، وأقبح من جهتين: من جهة أن شركهم دائم في الرخاء والشدة والأولون بخلاف ذلك، ومن جهة أن كثيراً منهم شرّكوا آلهتهم حتى في تدبير الأمور، وفي خلق الخلق وفي رزق العالم، وهذا أقبح من شرك الأولين وأخطر وأشد ضلالاً وبعداً عن الهدى، نسأل الله العافية. وفق الله الجميع .

الأسئلة

- سؤال: أحسن الله إليكم يا شيخنا! ما هي المسوغات التي دفعت الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لتأليف هذا الكتاب.

- **الجواب: إيضاح الشبهات التي اعترض بها عباد القبور ولبّسوا بها على المسلمين.**

- سؤال: هل كانت هذه الأمور موجودة في الدرعية ذلك الوقت في حياة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله؟

- **الجواب: نعم في الدرعية وفي غير الدرعية وفي مصر وفي الشام وفي العراق، كانت موجودة في كل مكان، وأكيد كانت هذه الأشياء موجودة قبله بقرون، من بعد القرون الثلاثة الأولى كثر الشرك في الناس.**

- سؤال: الصالحين ود و سواع وغيرهم هذا؛ هل كانوا أحياء في زمن نوح أم قبله؟

● **الجواب: هم: عُبدوا في زمن نوح؛ ووجودهم كان قبل زمن نوح عليه السلام، وبقيت في النّاس إلى عهد النبي ﷺ هو الذي أزالها مِنْ حول الكعبة.**

■ سـؤال: هناك حديث أن هذه الأصنام ستعود وتعبد بأعيانها؟

● **الجواب: لا، في الحديث الصحيح: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِى الأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ»(١) يعني: حتى يعمّ الشرك نسأل الله العافية. هي وغيرها إن وجدت إن وجد منها شيء، يعني تطبق البلاد على الشرك بعدما ينزع الإيمان من قلوب الناس «فَإِنَّ اللهَ يُرسِلُ رِيحاً طَيّبةً تَقبضُ أَرْواحَ المؤْمِنينَ»(٢) فلا يبقى إلا الكفار وعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.**

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه مسلم من حديث أنس في كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان برقم (١٤٨).

(٢) رواه مسلم بمعناه في حديث طويل عن النواس بن سمعان رضي الله عنه في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفنه وما معه برقم (٢٩٣٧).

المشركون الأولون أقروا بالربوبية وأشركوا في الألهية في الرخاء دون الشدة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

[فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً.

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات(1) أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وكما قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] وتحقَّقتَ أنّ الرّسول ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله للّه، والذبح كله للّه، والاستغاثة كلها باللّه، وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم؛ عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى الإقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكاً، أو نبياً،

(1) ذكر ذلك ابن عباس قال: «كان اللات رجلا يلت سويق الحجاج» أخرجه عنه البخاري في كتاب التفسير باب قول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النّجم: ١٩].

أو ولياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنّياً، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنّما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد، فأتاهم النّبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهّال يعلمون أن مراد النّبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنّه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] فإذا عرفت أن جهّال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممَّن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهّال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهّال الكفار أعلم منه بمعنى: لا إله إلا الله].

الشرح

يقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إذا تحققت ممّا تقدم مما ذكرناه من أن المشركين يقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر وأنه يحيي الموتى وأنه ينزل المطر وأنه على كل شيء قدير فيما يتصرف فيه سبحانه وتعالى، ولكنهم ينكرون توحيد الإلهية ـ وتخصيص الله بالعبادة ـ ويرون أنّه لا مانع من التعلق بالصالحين كاللات، أو على الأنبياء كعيسى، أو على غيرهم من الأشجار والأحجار؛ لطلب البركة وطلب الشفاعة كما فعلوا مع العزَّى ومناة واللات، ومع عيسى وأمه إلى غير ذلك، ومع الملائكة، هم يرون أنّ التعلق بهولاء أو طلب الشفاعة منهم

والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم أن هذا لا بأس به، وأنّ هذا لا يجوز منعهم منه؛ ولهذا أنكروا على النّبي ﷺ ذلك وقالوا له ـ لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله ـ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥] وقالوا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ٣٦-٣٧].

فهم لا ينكرون عليه دعواه بأن الله ربهم وخالقهم ورازقهم ومنزل المطر مجري الشمس والقمر، يعرفون هذا ولكن أنكروا عليه لمّا دعاهم إلى توحيد الله والإخلاص للّه وترك النذر لغير اللّه، والذبح لغير اللّه، ونحو ذلك مما كانوا يفعلونه، ويرون أن النذر لغير الله والدعاء لغير الله وطلب الشفاعة من الملائكة أو من الأنبياء أن هذا لا يضر، وأن هذا من باب التّوجه بهم والتقرب بهم، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ما قصدنا أنهم يخلقون أو يرزقون أو يدبرون لا، نعرف أن هذا لله، ولكن يريدون أنهم يقربونهم إلى الله، هذا الذي قاله المشركون الأولون وأنكره النبي عليه الصلاة والسلام هو ما يقوله المتأخرون.

المتأخرون يقولون في تعلقهم بالأموات من الأنبياء والصالحين: إننا نريد شفاعتهم، يشفعون لنا، لهم جاه نريد أن يشفعوا لنا فنعبدهم؛ لأجل أن يشفعوا لنا عند اللّه، لينفعونا عند اللّه، فهذا الذي قاله هؤلاء هو الذي قاله الأولون، ولكن الأولون أخف منهم شركاً، وأقل شركاً؛ لأنّ الأولين في حال الرخاء يشركون، وفي حال الشدائد يخلصوا لله العبادة، أمّا هؤلاء المتأخرون فشركهم دائم في الرخاء والشدة ـ نعوذ بالله ـ مع الصالحين أو مع غيرهم.

فالواجب أن يكون عندك تمييز لهذا الأمر وأن دين المشركين غير دين المسلمين، فالرّسول ﷺ دعاهم إلى توحيد اللّه، وأرسله اللّه إليهم ليدعوهم إلى توحيد اللّه إلى طاعة الله، إلى ترك الشرك بالله سبحانه، يدعوهم إلى ترك المعاصي، فهم قابلوا هذه الدعوة بالصدود والمعاداة والخصومة وقاتلوه على هذا يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، كل هذا دفاعاً عن دينهم الباطل؛ لتعلّقهم على غير الله وشركهم بالله سبحانه وتعالى، ولكن الله أيد نبيه ونصره عليهم، حتى فتح عليهم مكة عنوة ودخلوا في دين الله أفواجاً.

فجميع ما يتعلق بالدعوة يدل على هذا المعنى، وأن المدعو إذا كان يتعلق بالأموات أو بالكواكب أو كذا هذا الذي يدعى ويبيّن له.

أمّا كونه يشرك بالرّبوبية هذا شرك زائد يكون أكفر من الأولين، إذا زعم أن شيخه يتصرف في الكون، ويدبر الأمور، صار شركه أكبر من شرك أبي جهل وأشباهه، فالأولون عرفوا التوحيد لله من جهة الربوبية، الخلق والرزق والتدبير، وأشركوا بالله في الإلهية، في العبادة في الخوف، الرجاء، والصوم، والصلاة، والذبح، والنذر، ونحو ذلك.

أما هؤلاء المتأخرون فشركهم دائم في الرخاء والشدة، ومع الصالحين ومع غيرهم، فصاروا أكثر شركاً وأشر شراً من الأولين بسبب تساهلهم، وعنادهم وعدم قبولهم النصح، وبسبب شركهم في الرخاء والشدة نسأل الله العافية.

فينبغي للمؤمن أن ينتبه لهذا وأن يعرف أن الشرك هو صرف العبادة لغير الله أو بعضها، سواءً كان الكافر يقر بتوحيد الربوبية أو لا يقر، مهما كانت حاله فإنه كافر ما دام يعبد غير الله، ويستغيث بغير الله، ويدعو غير الله، نسأل الله العافية.

الأسئلة

■ سـؤال: أحسن الله إليك يا شيخ، هل يجوز أن يقال لعالم: قد أقامكم الله مفزعاً للمسلمين، وملاذاً للمؤمنين؟

● **الجواب: هذا معناه صحيح، مفزع لهم في تحصيل حقوقهم عن طريق المحاكم الشرعية، من طريق الإمارة، يفزع له الناس لإعطائهم حقوقهم، هذا معناه صحيح، يدعو لولي الأمر أن الله يجعله موفقاً وأن الله يعينه على تحقيق حاجات المسلمين، وأن يكون إذا فزعوا إليه حقق طلباتهم من جهة إقامة الحدود، من جهة تخليص الحقوق من جهة ردع الظالم إلى غير ذلك.**

■ سـؤال: أحسن الله إليك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] هذه الآية يعني في اليهود و النصارى، وكذلك نجد أن قريشاً عندما جاءهم الرسول اختلفوا وتفرقوا مع أنّهم ما عندهم علم مثل اليهود والنصارى، نفس الطريقة يعني: أنكروا كما نكر هؤلاء أصحاب الكتاب؟

● **الجواب: اليهود و النصارى هم الأساس في الشّر، اختلافهم من بعد ما جاءهم العلم، فالله ينهى الأمة أن تفعل مثلهم، أمّا قريش وأشباههم ما عندهم علم، فاللّه ينهى أمة محمد أن تختلف كما اختلف أهل الكتاب بعدما جاءهم من العلم، جاءتهم التوراة و الإنجيل واختلفوا ما اكتفوا بما أنزل عليهم. أمّا اختلاف الكفرة من قريش ليس له أساس،**

اختلافُ باطل اختلافُ جهلة ما عندهم شيء يرتكزون عليه، فإذا منع الاختلاف الذي ما ركّز على شيء فالاختلاف الذي بني على الجهل، فمن باب أولى.

■ سؤال: أليست البيّنات التي جاءت لهؤلاء هي التي جاءت لهؤلاء؟

● **الجواب: لا، لا، البيّنات غير، ما عندهم بيّنات، ما عندهم إلا الجهل، قريش وأشباههم ما عندهم إلا الجهل ما عندهم بيّنات.**

■ سؤال: أحسن الله إليك يا شيخ بالنسبة لإطلاق (إسرائيليين) على اليهود وكذلك إطلاق اسم (نصارى) على المسيحيين هل يراد به التمييع على أساس أن الناس ما تبغضهم؟

● **الجواب: لا؛ هذا مجرد اصطلاح بينهم، يسمى مسيحي يعني: يعبد المسيح، وأهل الكتاب لأنهم ينتسبون إلى التوراة والإنجيل، والمهم أن المؤمن لا ينتسب إلى اليهود ولا إلى النصارى ولا إلى من يتعاطى شيئاً من البدع، كالجهمية والمعتزلة حتى يبتعد عن الشر وأهله، وينتسب إلى أهل السنة إلى الصحابة ومن بعدهم ممّن سلك السبيل الأقوم وهم السّلف الصالح.**

■ سؤال: يا شيخ الله يثيبك، التسمية بـ (عبد السيد)؟

- **الجواب: تركها أولى؛ لأنه يشتبه، وإلا فالسيد من أسماء الله، فكونه يتسمى بالأسماء الواضحة: عبدالرحمن، عبدالعزيز، عبدالسميع، عبدالعليم أولى، وإلا السّيد كما قال ﷺ: «السّيد: هو الله تبارك وتعالى»[1] لا بأس به.**

- سؤال: أحسن الله إليك! الاختلاف في الأصول، غير الاختلاف في الفروع؟

- **الجواب: أي نعم أشد؛ كاختلاف الجهمية وأشباههم مع أهل السنة.**

- سؤال: هل يجوز التسمية بـ (عبد الموجود)؟

- **الجواب: لا، الموجود ليس من أسماء الله، هو موجود سبحانه، ولكنه ليس من أسمائه.**

- السائل: من باب الخبر، يعني؟

- **الجواب: نعم.**

- سؤال: متى يُخرج يا شيخ إلى الهوى من الملة؟

- **الجواب: إذا وقع في الشرك الأكبر، أو الكفر الأكبر.**

- سؤال: أحسن الله إليك! إطلاق لفظ: (حجة الإسلام) على العالم؟

- **الجواب: لا بأس بذلك وهو من باب التسامح في العبارات، حجة الإسلام، يعني: أنه إذا احتج وتكلم أنه أهل وأسوة ... إذا استدل ونبه الناس فهو حجة في الإسلام لعلمه وفضله،**

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني ٢٠/ ٤٠٤ رقم (٦٣١٣).

والحجّة الحقيقية القرآن والسنة وإجماع السلف، لكن يعبر عن بعض العلماء لكثرة علمه حجة الإسلام يعني أنه إذا تكلم حجة يحتج به، لأنه عنده أدلة.

■ سـؤال: حفظك الله يا شيخ إذا لم يخش عليه من الفتنة ـ كما ذكر بعض أهل العلم ـ يقال له أو ما يقال له يا شيخ؟! قد يفتتن البعض مثلاً إذا قيل له: فلان وفلان مجد ببعض الكلمات، هل يتساوى مع الذي لا يفتتن مثلاً؟

● **الجواب: من الذي لا يفتتن، من يضمنه، أقول: من يضمن أنه ما يفتتن، الحذر واجب أقول: الحذر واجب، نعم. الله يهدينا وإيّاكم والعامة .**

❊ ❊ ❊

وجوب خوف المؤمن من الوقوع في الشرك

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[إذا عَرفتَ ما ذكرتُ لك معرفة قلب وعرفت الشرك باللّه الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء:٤٨،١١٦] وعرفت دين الله الذي أرسل به الرّسل، من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته كما قال الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨].

وأفادك أيضاً الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها ويظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما كان يفعل الكفار خصوصاً إن ألهمك الله تعالى ما قصّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنّهم أتوهُ قائلين: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعرَاف: ١٣٨] فحينئذٍ يعظم حرصك وخوفك، على ما يخلصك من هذا وأمثاله].

الشّرح

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب)) يعني: ما قلت لك من حال المشركين الأولين وأنهم يعرفون أن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، وأنّهم إنّما عبدوا الأصنام والأوثان والأشجار والملائكة والأنبياء يقولون: إنّهم يشفعون لهم ويقربونهم إلى الله زلفى ما عبدوهم على أنهم يخلقون أو يرزقون، لا يعرفون أنّ الله هو

الخلاق الرزاق المحيي المميت المدبر ولكن عبدوا الملائكة والأنبياء والأصنام واللّات والعزّى وأشباهها، يعتقدون أنها تشفع لهم عند الله وأنها تقربهم إلى الله زلفى، ومع هذا قاتلهم النّبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم حتى يخلصوا العبادة للّه وحده.

وعرفت الشرك بالله الذي قاتلهم النبي ﷺ عليه وأنه صرف للعبادة لغير اللّه كالذبح والنذر والاستغاثة ونحو ذلك هذا هو الشرك الذي هو أعظم الذنوب، كونه يستغيث بالشجر أو بالصنم أو بالملك أو بالأنبياء أو بالأموات أو بالنجوم هذا هو الشرك إذا استغاث بها أو نذر لها أو ذبح لها أو دعاها أو سجد لها أو ما أشبه ذلك هذا أعظم الذنوب، كما قال الله تعالى في هذا الشأن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ٨٨] وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] .

وعرفت دين الإسلام الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، وهو توحيد الله والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه هذا هو دين الإسلام الذي قال فيه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[آل عِمرَان: ١٩].

دين الإسلام هو توحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك به وطاعة أوامره وترك نواهيه هذا هو دين الإسلام ماهو بالتقليد الأعمى والدعوى بالإسلام وما أشبه ذلك من غير نظر ولا عقيدة، لا.

دين الإسلام عقيدة وعمل، قول وعمل، تعرف دين الله أنّه توحيد الله والإخلاص له والإيمان به وبرسله والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الجنّة والنّار وغير ذلك مع تصديق الرّسول ﷺ واتّباعه

هذا هو دين الإسلام مع طاعة الأوامر وترك النواهي، هذا هو دين الله، الذي جهله الأكثرون يدّعون أنهم مسلمون وهم يعبدون الأشجار والأحجار والأصنام والأولياء من جهلهم.

وعرفت أن الإنسان قد يكفر بكلمة تصدر من لسانه، قد يقولها وهو جاهل قد يقولها وهو يعتقد أنها تقربه إلى الله زلفى، قد يسب الدين، قد يستهزئ بالدين، فيكفر بها وهو ليس له بصيرة في هذا الأمر، يسب الله أو يسب الرسول، أو يستهزئ بالدين أو يجحد ما أوجب الله أو يجحد بعض ما حرم الله فيكفر بذلك وهو لا يبالي ولا ينتبه إذا عرفت ذلك عرفت أن الله قد أعطاك فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، يعني: لما منّ الله عليك بهذا العلم والبصيرة تفرح بفضل الله ورحمته، فضل الله أن هداك للإسلام، ورحمته أن جعلك من أهله فضل الله أن عرفك بالإسلام وهداك له ومن رحمته أن جعلك من أهله كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] تفرح أن الله شرح صدرك، أن الله علمك، وأن الله فهمك دينه، وأن الله هداك له ورحمك، حتى صرت من أهله هذه نعمة عظيمة.

والفائدة الثانية: الخوف، تخاف أن يصيبك ما أصاب الناس، تخاف أن تهلك، تخاف أن تزل، يقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢] ويقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ولما ذكر أهل الجنة قال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] تخاف الله أن تزل قدمك، أن تقع في الشرك، أن ترتد عن دينك، أن تؤثر الدنيا

على الآخرة، تخاف وتحذر، مع الفرح بفضل الله ورحمته وما يسر الله لك من الهداية تخاف ربك، تخاف أن يزيغ قلبك، تخاف أن تزل قدمك بسبب تفريطك وتساهلك أو بإيثار الدنيا أو غير هذا من أسباب الردة.

هكذا المؤمن يفرح بفضل الله يحمد الله أن جعله من أهل الإسلام، ويستقيم ويجاهد نفسه في الله ويخاف أن تزل قدمه يخاف أن يزيغ قلبه، يخاف أن يقع فيما وقع فيه الأكثرون من الشرك بالله.

هكذا المؤمن، كما قال الله عن الرّسل وأتباعهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال في أوليائه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦٠]، مع عملهم الطيب قلوبهم وجلة هكذا أهل الإيمان هكذا الرسل وأتباعهم يعملون الطاعات ويجتهدوا في الخير ومع هذا يخافون الله يخافون أن تزل أقدامهم، يخافون أن تزيغ قلوبهم ليسوا آمنين يخافون ويحذرون.

هكذا المؤمن يكون خائفاً وجلاً حذراً لا يأمن مكر الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] عندهم إيمان صادق، ومن الإيمان الخوف من الله والخشية له ورجاؤه وتعظيمه، والإخلاص له والثّبات على دينه، كل هذا داخل في الإيمان، هؤلاء هم أهل الأمن والهداية هم الموفقون بسبب إيمانهم وصدقهم وإخلاصهم، وخوفهم من الله وعنايتهم بدينهم، وحذرهم من أسباب الشر.

قال ابن أبي مليكة[١] رَحِمَهُ اللَّهُ التابعي الجليل: «أدركت ثلاثين من أصحاب النّبي ﷺ، ما فيهم من يقول: إنّه على إيمان جبرائيل وميكائيل بل كلهم يخاف النفاق على نفسه»[٢] كلهم يخاف كلهم يحذر، قال بعضهم: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم، من يأمن بعد إبراهيم، إبراهيم الخليل يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] يخاف ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦] يخاف أن يصيبه ما أصاب الكثير، والنبي ﷺ كان يضْرع إلى ربه ويسأله سبحانه وتعالى: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله**»[٣] ويسأل ربه دائماً عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي**»[٤] «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[٥] وهو نبي الله وهو رسول الله أفضل الخلق عليه

---

(١) هو الإمام الحجة الحافظ أبو بكر أو أبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن زهير بن عبد الله ابن جدعان بن عمرو بن كعب القرشي التيمي المكي القاضي الأحول المؤذن، ولد في خلافة علي أو قبلها، وثقه أبو زرعة، أبو حاتم، قال البخاري: مات سنة سبع عشرة ومائة، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٥٤٩).

(٢) ذكره البخاري معلقا في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط علمه، وهو لا يشعر بين رقمي [٤٧و ٤٨] ووصله في التاريخ الكبير (٢/ ١٣٧)، كما وصله الخلال في كتاب السنة برقم (١٠٨٠).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٣).

(٤) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، البخاري في كتاب الدعوات باب قول النبي ﷺ «اللهم أغفرلي ما قدمت وما أخرت» برقم (٦٣٩٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل برقم (٢٧٢٩).

(٥) أخرجه الترمذي وحسنه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب القدر باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن برقم (٢١٤٠).

الصّلاة والسّلام، ويقول: «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّى لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»[١] يحلف بالله أنّه أخشى الناس لله، وأنه أخوف الناس من الله، مع إيمانه العظيم وتقواه «**والذي نفسي بيده إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**». وفق الله الجميع.

الأسئلة

■ ســؤال: أحسن الله إليك ما الفرق بين الخشية والرهبة؟

● **الجواب: الرهبة والخشية والخوف كلها بمعنى متقارب، كلها بمعنى متقارب. نعم.**

■ ســؤال: الله يحسن عملك! قول المؤلف رحمه الله: وقد يقولها وهو جاهل ولا يعذر بجهله؟

● **الجواب: لأنه بين المسلمين، وعنده الكتاب والسنة قريب، يعني: هذا فيه معنى التساهل.**

■ ســؤال: هل تحمل هذه على المفرط؟

● **الجواب: نعم؛ لأنه إنسان مفرط يستطيع التّعلم، ولم يبال.**

■ ســؤال: أحسن الله إليك: إطلاق كلمة مولانا على الشيخ فيقول: مولانا الشيخ؟

● **الجواب: لا، هذا ما ينبغي، يقول النّبي ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: مَوْلَايَ**

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة برقم (١٤٠١).

فُلانٌ، بَلْ اللهُ مَوْلَاكُمْ»[(١)] إلا في حق العبد المملوك يقول: سيدي مولاي، العبد المملوك لا بأس أن يقوله.

■ سـؤال: أحسن الله إليك ما حكم إطلاق كلمة: يا سيد؟

● **الجواب: سيد أمرها سهل، لكن سيدي تركه أولى، سيد لا بأس، والنّبي ﷺ قال: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ»[(٢)] يعني الحسن وكان يقول لرؤساء القبائل من سيد بني فلان؟ من سيد بني فلان؟ يعني: من رئيسهم؟ ويقول: لسعد بن معاذ: «قُومُوا إِلى سَيِّدِكُمْ» لما جاء يحكم في بني قريظة.**

■ سـؤال: عفا الله عنك! هل الاختلاف في مسألة العذر بالجهل من المسائل الخلافية؟

● **الجواب: مسألة عظيمة والأصل فيها أنه لا يعذر من كان بين المسلمين، من بلغه الكتاب والسنة لا يعذر، الله جل وعلا قال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] قال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] من بلغه القرآن والسنة فهو غير معذور، إنّما أوتي من تساهله، وعدم مبالاته.**

□ مداخلة: لكن هل يقال: إنها مسألة خلافية؟

● **الجواب: لا، ليست خلافية، إلّا في الدقائق التي قد تخفى مثل قصة الذي قال لأهله: احرقوني.**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الألفاظ من الأدب باب حكم إطلاق لفظة: العبد والأمة والمولى والسيد برقم (٢٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه في كتاب الصلح باب قول النبي ﷺ للحسن ابن علي رضي الله عنهما (إن ابني هذا سيد) برقم (٢٧٠٤).

■ سؤال: وقوله: (هو الله المحيي المميت)، هذا الإنسان المتسمي بمحيي الدين هل فيه تزكية النفس أو ليس فيه بأس إن شاء الله؟

● **الجواب: تركه أولى، ترك اللقب أحسن، وإلّا فقد استعمله الناس في كثير من الناس مثل النووي محيي الدين؛ لأنه دعا إلى الله، وأرشد النّاس، لهذا سموه محيي الدين لأجل هذا.**

□ مداخلة: الإمام النووي كان يكره أن يسمى محيي الدين؟

● **الجواب: تركه أولى.**

□ مداخلة: أنا محيي الدين هل أترك اسمي؟

● **الجواب: نعم، تسمى باسم آخر أحسن مثل عبد الله أو عبد الرحمن هكذا.**

■ سؤال: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] هل يدخل فيها الشرك الأكبر والأصغر أو الأكبر فقط؟

● **الجواب: الشرك الأصغر الأقرب أنه يدخل فيها، لكن قد يغفر برجحان الحسنات، إذا رجح ميزان الحسنات؛ لأنه من جنس الكبائر لكن قد لا يغفر له إذا لم يتب منه ولم يرجح ميزانه، قد يعذب عليه، مثلما يعذب على الكبائر إذا مات عليها، إلا أن يعفو الله عن الكبائر.**

□ مداخلة: أصل القول أنه أكبر من الكبائر؟

● **الجواب: هذا الأقرب، والأظهر، وتسميته شرك دلَّ على ذلك.**

❊ ❊ ❊

الصراع بين الرسل وأعدائهم

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[واعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]، إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله تعالى لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيّناته، فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: ٧٦] .

والعامي من الموحدين، يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧٣] فجند الله هم الغالبون بالحجّة واللّسان، كما أنهم الغالبون بالسّيف والسّنان، وإنّما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله الله: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النّحل: ٨٩] فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها، ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣٣] قال بعض المفسرين: هذه الآية

عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة].

الشرح

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أن اللَّه جل وعلا لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، منذ نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، ابتلاء وامتحانا يبتلي الأخيار بالأشرار، يبتلي الرسل بالأعداء، ويبتلي الدعاة إلى الله بأعدائهم، فلابد من التأهب وأخذ العدة والسلاح لمجاهدة هؤلاء، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] قال جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفُرقان: ٣١] فالرسل لهم أعداء ولهم شبهٌ وحجج يوردونها على الرسل وعلى أتباعهم، ولهم كتب يرجعون إليها، ويشبهون بها، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غَافِر: ٨٣] يعني: العلم الباطل، علوم لا تنفع، ولكن يحصل بها التّشبيه على دعاة الهدى وعلى الرّسل ولكن متى كان صاحب الحق على بيّنة وعلى بصيرة لم يبالِ بشبههم بل يهزمها ويبيّن بطلانها؛ لأنه على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يُوسُف: ١٠٨] كما هدمها الرّسل وبيّنوا بطلانها، هكذا أتباع الرسل يبيّنون بطلان حجج أهل الباطل وشبهاتهم ويكشفون زيفها ويوضحون الحق للناس بما أعطاهم الله من البصيرة والأدلة الشّرعية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣٣]،

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] فصاحب البصيرة المتعلم الذي عرف الحق على بصيرة عرف التوحيد عرف الشرك على بصيرة لا تغره شبه أولئك المجرمين ولا تلتبس عليه بل يهدمها ويوضح بطلانها ويكشفها للناس كما سمعت في قوله جل وعلا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، وهم يُشبِّهون على الناس بقوله جل وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وأي حجة في هذا، نعم: ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فهل قال لك أحد: ادعوهم من دون الله؟ بيّن لك أن تكون منهم، تعلّم واستقم على طاعة الله حتى تكون منهم، كونهم أولياء الله لا يجوز دعاؤهم والاستغاثة بهم كما أن الرسل وهم أفضل المؤمنين، هم أولياء الله، ومع هذا لاتجوز عبادتهم من دون الله، هكذا بقية المؤمنين هم أولياء الله وهم عباد الله الصالحون، ولكن ليس لك أن تعبدهم، كما أنه ليس لك أن تعبد الرّسل، بل اعبد الله وحده، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] فالأمر واضح إذا أخلص العبد لله وصدق في طلب العلم وتفقه في الدين وتعلم الأدلة الشرعية، وعني بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، فإن الله يعينه على كشف حجج أهل الباطل وإزالة شبههم وإظهار الحق،

وإنّما يخشى عليه إذا سلك الطريق وليس معه سلاح يخشى على طالب العلم إذا كان مجرداً من السلاح ما عنده سلاح العلم، ما عنده بصيرة، دعوى علم لكن بدون بصيرة، ليس علماً حقيقياً والسلاح هو العلم قال الله قال رسوله، فإذا كان عنده علم وبصيرة وأخلص لله وصدق مع الله فالله يعينه عليهم ويخلّصه من شرهم و لا يخشى عليه إلا من قلّة العلم أو من فساد النّية وعدم الإخلاص، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفق الله الجميع .

الأسئلة

- سؤال : ما هي البصيرة يا شيخ ؟

- **الجواب: البصيرة هي العلم بما قاله الله ورسوله وما عليه أهل الحق وما عليه أهل الباطل، يميز بين التوحيد والشرك، بين الإسلام وضده، بما أعطاه الله من العلم.**

- سؤال : ذكرت، تقول : عنده علم ولكن عنده قلة بصيرة ما المراد بذلك؟

- **الجواب: قلة البصيرة هي قلة العلم، عنده بعض العلم وليس بكامل العلم، عنده بعض العلوم لكنه ما اعتنى بالمقام هذا غالب الخلق .**

- سؤال : ما هي الأسباب المعينة على ضبط العلم وإتقان مسائله؟

- **الجواب: العناية بالقرآن والسنة، والأخذ من علماء السنة المعروفين بالثبات والعلم والبصيرة حتى يوجِّهوه.**

- سؤال : متى يكون الخوف من الشرك الأكبر ؟

- **الجواب: لا أعرف في هذا شيء أستطيع قوله، لكن الشرك الأكبر هو خوف السّر، والخوف الذي يحمل على ترك الواجب أو فعل معصية يسمى معصية لا يسمى شركاً أصغر إذا حمله على ذلك خوفه من ولده، أو خوفه من زوجته يكون معصية لا يكون شركا، فكونه يفعل شيئاً مما حرم الله خوفاً أن تغضب زوجته أو خوفاً أن يهرب ولده، أو يشرب الخمر أو يترك الصلاة مع الجماعة إرضاءً لزوجته خوفاً من غضبها أو من صاحب العمل أو نحو ذلك فهذا معصية.**

■ سـؤال: هل الخوف يدخل في الشرك بالله ؟

- **الجواب: نعم، الذي يخاف الأصنام، ويخاف النجوم، هذا شرك، أمّا الذي يخاف السرقة ويغلق الباب هذا لا بأس به .**

■ سـؤال: ما حكم من يخاف من البشر مثلاً؟

- **الجواب: إذا كان له أسباب، يخاف من السلطان الظالم، يخاف أن يلاقي أحداً في الطريق، فيأخذ السلاح ويتحرز ويبتعد عن أسباب الشر، إذا كان خوف له أسباب فلا بأس.**

■ سـؤال: أحسن الله إليكم يا شيخ كثير من الناس المنتسبين إلى السلفية يشترطون في إقامة الحجة أنه يكون من العلماء، فإذا وقع العامي على كلام كفر يقول: لا، أنت لا تكفره ؟

- **الجواب: إقامة الحجة إقامة الدليل، يعني هذا إقامة الحجة كل على حسب حاله.**

■ سـؤال: هل للعامي أن يكفر مثلا من قام بالكفر ؟

- **الجواب: إذا ثبت عليه فعل الكفر كفر، وإيش المانع؟! إذا ثبت عنده ما يوجب الكفر كفره مثلما نكفر أبا جهل ونكفر أبا طالب ونكفر عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة فقد قام الدليل أنهم ماتوا على الكفر وقاتلهم النبّي ﷺ يوم بدر كفاراً.**

■ سؤال: يمنعون يا شيخ العامة من التكفير فما حكمه؟

- **الجواب: العامي لا يكفر إلا بالدليل، العامي ما عنده علم بشيء معين، إلا إذا كان عنده علم بشيء معين مثل من جحد تحريم الزنا فهذا يكفر عند العامة والخاصة ما فيه شبهة، ما يحتاج لأدلة، أقول: ما يحتاج أدلة، أو قال: يجوز للناس أن يعبدوا غير الله، أحد يشك في هذا؟! ما يحتاج أدلة، لو قال يجوز للناس أن يعبدوا الأصنام وأن يعبدوا النجوم وأن يعبدوا الجن، أو قال: الصلاة ما هي واجبة من شاء صلى ومن شاء ترك، من قال هذا كفر. التوقف في الأشياء المشكلة التي قد تخفى على العامة .**

■ سؤال: بعض الناس يقول: لا ينبغي إشغال العامة بتقرير أمور العقيدة كالعلو وغيره؟

- **الجواب: العقيدة هي أهم الأمور، النبي ﷺ جلس في تقرير العقيدة ثلاثة عشر سنة وهو في مكة كلها في العقيدة. العقيدة هي أصل الدين.**

■ سؤال: هل من يقول هذا يعد من أهل العلم؟

- **الجواب: لا، ما يعد من أهل العلم، يعد من أهل الجهل.**

أجوبة أهل التوحيد على شبهات المشركين

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل ومفصل، أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧]، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١) مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] أو استدل بالشّفاعة أنها حق وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنّبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم، ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرّون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨] هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النّبي ﷺ لا أعرف معناه ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض وأن كلام النّبي

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران باب منه آيات محكمات برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن إتباع متشابه القرآن برقم (٢٦٦٥).

ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل، وهذا جواب سديد، ولكن لا يفهمه إلّا من وفقه الله تعالى فلا تستهن به فإنّه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّنٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّنٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصّلت: ٣٥]

الشرح

كلام المؤلف هذا كلام عظيم وجيّد وسديد يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: إن جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل ومفصل؛ لأن أهل الباطل من المشركين شبهوا على العامة بأشياء كثيرة، واحتجوا على الشيخ بها وكاتبوه في ذلك ليصححوا ما هم عليه من الباطل من دعوة أهل القبور والاستغاثة بالأموات وبالملائكة والجنّ فأجابهم إجمالاً وتفصيلاً رَحِمَهُ اللَّهُ .

فالمجمل جواباً لكل شبهة يصلح للعالم المتبصر ولغيره يجيب به، فيقول لمن ادعى أن ما فعله ليس من الشرك وأن التعلق بالأولياء أو بالأنبياء ليس من الشرك وأن لهم جاه ولهم شفاعة، وأن الله يشفعهم فيمن دعاهم أو استغاث بهم تقول له: أنا قلت لك شيئاً مفصلاً واضحاً أن الله حرم الشّرك وحرّم دعاء غير الله وحكم على المشركين بالشرك والكفر بالله بدعائهم الأموات والاستغاثة بالأموات، أو بالرسل أو بالجن أو بالنجوم أو بغير ذلك، وهذا شيء محكم واضح من القرآن والسّنة ومن سيرة النّبي ﷺ، وما قلته لي من أن لهم جاه عند الله أو أن لهم شفاعة أو الأنبياء لهم شفاعة لا أفهم أنه يدل على ما ذكرت من الشّرك، ولا أعرف هذا من هذه النصوص وكلام الله لا يتناقض، وكلام الرّسول لا يخالف كلام الله، والله أخبر عن أهل الباطل أنهم يتبعون المتشابه، ويتركون المحكم فالواجب عليك أن تأخذ بالمحكم الواضح الذي بين فيه سبحانه وتعالى تحريم الشرك وتحريم دعوة غير

الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] وقال: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] وقال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجنّ: ١٨] وقال: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] كل هذا محكم واضح وأن الله أبطل شبهتهم ورد عليهم وبيّن كفرهم وأن زعمهم أنّهم يقربون إلى الله زلفى وأنّهم شفعاء باطل ولا ينفعهم ولا يجزي عنهم شيئاً فعليك بهذا المحكم الواضح ودع عنك التعلق بأشياء لا تدل على ما أردت من قوله جلّ وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] نعم أولياء و يش يدل عليه؟ يدل على أنك تدعوهم من دون الله؟ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون نعم صحيح لكن ليس معناه أنّهم يدعون من دون الله ولا يستغاث بهم ولا ينذر لهم.

وهكذا الأنبياء والصالحون كلّهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كلهم أولياء فلا يدعون مع الله، نعم عملهم لهم، وصلاحهم لهم، وعباداتهم لهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من أجل طاعتهم لله وقيامهم بحقه، أمّا إنك تدعوهم مع الله لا، ليس هذا حق، وكونهم يَشْفَعون يوم القيامة، كون النّبي يَشْفع يوم القيامة، كون له جاه عند

الله: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] أي: موسى عليه السلام، وجاه الرّسول أعظم من كل هذا لا يدل على جواز الشرك، وجاه الرسول عظيم، والأولياء لهم جاه، ولهم منزلة عند الله ولهم شفاعة لكن من يقول لك: إنّهم يدعون مع الله لأجل هذا، هذا باطل، تعلق باطل، شفاعتهم لهم، كرامتهم لهم، يشفعون فيمن رضي الله قوله وعمله والمشرك لا يرضى الله قوله ولا عمله فلا يشفعون له؛ لأن الله يقول جلّ وعلا: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: ٧] وأخبر أنّ الكفار مغضوب عليهم وأنّهم ضالون فلا شفاعة فيهم، كل هذا محكم واضح.

إنّ الكافر لا شفاعة له، ولا ينفعه اعتقاده أن هؤلاء أولياء وأن لهم جاه لا ينفعه، جاههم لهم وعملهم الصالح لهم، ولا ينفعه هذا الذي تعلق بهم، وهكذا الرسل عملهم لهم، وصلاحهم لهم، ولا ينفع المشرك كونهم صالحين أو كونهم أولياء أو كونهم رسلاً لشركه الذي أبطل عمله ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] الشرك أحبط العمل سواءً أشرك برسول أو بولي أو بنجم أو بجن أو بصنم عمله حابط وباطل، وهذه التعلقات بكونهم أولياء أو بكونهم رسل كلها باطلة هم أولياء وهم رسل ولكن لا يجوز التّعلق بهم كما أنه لا يجوز أن يتعلق بالملائكة ولا بالجنّ ولا بالأصنام ولا بالكواكب ولا بغير ذلك، وكل هذا واضح لأهل العلم والإيمان والبصيرة، ولكن بعض الناس قد يخفى عليه هذا لقلة علمه، ولعدم بصيرته، قد يلتبس عليه بعض الأمر، لكن ينبغي لك أن تعلم أن هذا جواب جيد، وهو أن تقول له: أنا أعطيك شيئاً محكماً، وأستدل عليك بشيء محكم، وأوضح لك شيئاً واضحاً، أمّا الذي يشتبه عليك أو علي فدعه، الله

أخبرنا أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون المتشابه، دعنا من المتشابه ونجتمع أنا و إياك على المحكم، الذي بيّنه الله في قوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]هذا واضح بين في الرد عليهم: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجنّ: ١٨]، ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] إلى غير هذا من الأدلة، وفق الله الجميع.

الأسئلة

■ سؤال: قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] هل فيها دلالة على ما يقولون من جواز التقرب إلى الأولياء؟

● **الجواب: لا، هي مدح لهم لأنهم آمنوا واتقوا، وإذا مدحهم هل يعبدون من دون الله، أو لا؟ الرسل ممدوحون أيضاً بأنّهم أطاعوا الله وبلغوا رسالاته هذا عملهم وهو لهم .**

■ سؤال: في المدينة بعض الناس يقابل قبر النبي ﷺ ويرفع يده هل يجوز أن يحسن به الظن أنه يدعو لنفسه؟

● **الجواب: هذا جهل منه، يعلّم أنه إذا أراد الدعاء يستقبل القبلة أو يذهب إلى مكان آخر، حتى لا يشوش على نفسه أو يشوش على غيره، فَيُظَن أنه يدعو الرسول.**

■ سؤال: هل صحيح ما روي عن الإمام أحمد أنّه يرى التوسل بالرسول ﷺ فقط؟

● **الجواب: يروى ذلك، ولكن المشهور عنه وعن غيره المنع، رأي الجمهور المنع. وحتى لو قاله الإمام أحمد وغيره غلط.**

■ سؤال: هل يكون الكافر مشركا ؟

● **الجواب: كل كافر مشرك وكل مشرك كافر.**

■ سؤال: والمنافق يا شيخ؟

● **الجواب: المنافق أشدهم كفراً، نسأل الله العافية، فالمنافق الذي يضمر العداء للإسلام والكفر بالإسلام، هذا هو المنافق: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾** [النِّساء: ١٤٥] **نسأل الله العافية.**

■ سؤال: من هم أولياء الله؟

● **الجواب: المؤمنون، أنتم إن شاء الله منهم، جعلنا الله وإياكم منهم، كل من أطاع الله ورسوله واستقام على الحق فهو من أولياء الله. نسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم منهم.**

■ سؤال: بعض الناس يرى أن بعض المعاصي توقع في الشرك ويقول: يحبون هذه الأفعال أكثر من حبهم لله؟

● **الجواب: الواجب حب العبادة، أمّا حبّ الزوجة أو حب المال أكثر من حب اللّه هذه معصية من المعاصي، لكن الحب الذي يقتضي عدم وجود محبة اللّه هذا كفر أكبر نسأل الله العافية، فأصل الحب لابد منه، لكن يكون حب الله أكمل من كل شيء، وحب الرّسول أكمل، هذا من كمال الإيمان**

الواجب «ثلاث من كن فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما»[1] هذا كمال التوحيد، فيكون حب الله ورسوله أكمل ممّا سواهما.

■ سؤال: من فرط حبّه لشيخه قدّم كلامه على كلام اللّه ورسوله؟

● **الجواب: هذا معصية، وتقليد أعمى، وإذا استحل ذلك ورأى أن شيخه مقدم على كلام الله ورسوله يكون كفراً أكبر، إذا استحل ذلك، نسأل الله العافية.**

■ سؤال: ما حكم من يتعاطى الأعمال الشركية ويقول: إنّنا لا نعبدهم كالأولياء والصالحين وأصحاب القبور؟

● **الجواب: ولو لم يقل: إننا ما نعبدهم، فهم يقولون:** ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] **وقصدنا أننا نعبد الله لكن هؤلاء يقربونا إلى الله فهم وسائط، لا لأنهم يستحقون العبادة، فيزعمون هذا.**

■ سؤال: الذي لا يعرف أنّ الذّبح عبادة وأنّ النّذر عبادة ما حكمه؟

● **الجواب: الجاهل يُعلَّم، والذي ما يعرف يُعرَّفُ.**

■ سؤال: ألا يحكم عليه بالشرك؟

● **الجواب: يحكم عليه بالشرك ويُعلَّم أما سمعت الله يقول:** ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ﴾ [الفُرقان: ٤٤] **الأنعام**

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك البخاري في كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان برقم(١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال من انصف بهن وجد حلاوة الإيمان برقم(٤٣) .

تفهم؟ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] وقال جلّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] **وليس وراء هذا تنديد لهم، نسأل الله العافية.**

■ سؤال: ألآ يستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] ؟

● **الجواب: بلى تنطبق، يعني هديناه دللناه، أي أوضحنا له الطريق، والرسل وضّحوا، وعلماء الحق وضّحوا ؛ ولكن الضّال يعرض لا يبالي ولا يلتفت، عباد البدوي و الحسين إذا جئته يقول: لا، ما نطيعه، فالحق ما نحن عليه .**

■ سؤال: الزنديق تقبل توبته؟

● **الجواب: إذا تاب إلى الله فيما بينه وبين الله صح، إذا صدق.**

■ سؤال: أحسن الله عملك العلماء الذين يرون العامة يفعلون الشرك ويطوفون حول القبور أو يذبحون أو ينذرون، ويسكتون عن ذلك هل يقال بكفرهم؟

● **الجواب: لا يقال، هم مداهنون عليهم جريمة، عليهم جريمة السكوت، لا يكفرون إلّا إذا رأوا أنهم مصيبون، إذا اعتقدوا صحة فعلهم، وأنهم على صواب .**

■ سؤال: لكنهم يعلمون أن هذا شرك صريح؟

● **الجواب: ولو، يصير مداهنة وتساهل، مداهنة وتساهل.**

■ ســؤال : ما حكم السؤال بجاه النّبي ﷺ هل هو بدعة؟

● **الجواب: نعم بدعة.**

■ ســؤال : قراءة القرآن للأموات، من أهل العلم من قال: إنه يصل الثواب، ما الصواب في ذلك ؟

● **الجواب: لا ، الصواب أنه لا يصل، ذكر الشيخ تقي الدين أنه لا يصل بلا نزاع، قراءة القرآن ما تصل ولا يجوز أخذ الأجرة عليها أيضاً ؛ لأنه لم يرد عن النّبي ﷺ ما يدل على وصولها إنما جاء التقرب بالصدقات والحج والعمرة، هذا يصل وينفع الأموات أمّا مسألة كونه يقرأ عنه يقرأ له لا دليل عليه، أما الدعاء فهو ينفعهم ورد عليه دليل وأجمع المسلمون على ذلك، والعبادات توقيفية .**

■ ســؤال : الّذي يقول: أنتم السعوديون وهابيون متعصبون ما جوابه ؟

● **الجواب: قل نعم إنا وهابيون مسلمون غير متعصبين، أنت جاهل تعلّم حتى تعرف الحق، الحق ما يعرف بالرجال، ولكن بالحق يعرف الرجال، أدرس الأدلة وتأملها، هي المحور وعليها المدار، وأتباع محمد ﷺ ليسوا متعصبين، المتعصبون هم المقلدون اللذين يتبعون أهل الباطل في باطلهم لأنهم شيوخه، أو لأنهم آباؤه وأجداده،أو لأنهم أصحابه، فيتبعهم ويقلدهم تعظيماً لهم، هذا المتعصب.**

❊ ❊ ❊

إقرار المشرك بالربوبية لا يبرر شركه في العبادة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[وأما الجواب المفصل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره لكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم، فجاوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه ووضحه، فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام،كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام، أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً، فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] ويدعون عيسى بن مريم وأمه وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦] واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ

أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سَبَإ: ٤٠-٤١] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦] فقل له: أعرفت أن اللّه كفّر من قصد الأصنام، وكفّر ـ أيضاً ـ من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ، فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلّا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم، فالجواب أن هذا قول الكفار سواءً بسواء، فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] .

الشرح

المؤلف رحمه الله بدأ بالجواب المجمل كما تقدم وبالمفصل، فإنه يجيب أهل الشبه بالجواب المجمل والمفصل، لأن أهل الشبه أقسام: منهم الفاهم يحتاج إلى التفصيل ومنهم الجاهل يكفيه الرد المجمل، والمقصود أن أعداء الله من المشركين لهم شبه، يشبهون بها على الناس على دين الرسل ويلبسون بها على الناس، فلهذا ذكر الجواب المفصل الذي يرُّد به على المشركين، فإذا قالوا: لا تجعلونا مثل الكفار الأولين، يعبدون الأصنام هبل وما هبل ونحن ما نعبد الأصنام، نتوسل بالصالحين، والأنبياء والأخيار، فتقول له: أنت فعلت مثل ما فعلوا، هم ما يعبدون الأصنام وحدها يعبدون الأصنام ويعبدون الأنبياء ويعبدون الصالحين، ويعبدون مثل ما ذكر الله عنهم اللات وهو

رجل صالح، وعبدوا عيسى وأمه، وعيسى نبي وأمه صالحة، وعبدوا الأولياء وغيرهم من سائر الصالحين فهم مثلكم، فإذا قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، وأنا أعرف أن الله هو الخالق، الرزاق، المدبر، المحيي، المميت، ولكني أطلب منهم الشفاعة وأتوسل بهم إلى الله جل وعلا ليقربوني إلى الله زلفى، تقل له: هذا هو دين المشركين، اعْبد اللَّه وحده، ادْعه وحده لا تدع الأصنام ولا تدع الأنبياء ولا الصالحين، الدرب واحد سواءً دعوت نبياً أو صالحاً أو صنماً أو شجراً، كله شرك بالله ما يجوز، وإذا كانوا صالحين وأنبياء، فصلاحهم لهم ما هو لك، صلاحهم وأعمالهم لهم، لكن التوسل يكون بأعمالهم الطيبة، تقتدي بهم، تصلي كما صلوا، تصوم كما صاموا، تخلص لله العبادة كما أخلصوا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما فعلوا، هذا التأسي بهم تعمل مثل أعمالهم الطّيبة، أما أن تدعوهم مع الله، تقول: يا رسول الله! انصرني أو اشف مريضي، أو يا سيدي عبد القادر أو يا أحمد البدوي أو يا الحسين أو يا الحسن أو يا علي، تدعوهم وتقول لي: ما أعبدهم ولكن أدعوهم لأنهم صالحون، أو لأنهم أنبياء، هذا نفس عبادة أبي جهل، وعتبة بن ربيعة وأشباههم من كفار قريش، هذا دينهم ذكر الله أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ما نعبدهم لأنهم يخلقوا ويرزقوا، لا، نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، قال تعالى في حقهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] فالله قال عنهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] لأنّهم طلبوها من غير وجهها، من يريد الشفاعة يطلبها من الله يقول: اللّهم شفع فيّ أنبياءك، اللهم! شفع فيّ عبادك الصالحين، ويسلك طريقهم يعبد الله كما عبدوه، ويدعوه كما

دعوه، يستغيث به كما استغاثوا به، وهكذا يسير على نهجهم في العبادة لله وحده وفي طاعة أوامره وترك نواهيه، أما أن يدعوهم مع الله، يستغيث بهم، ينذر ويذبح لهم، يطوف بقبورهم، هذا نفس فعل المشركين الأولين، هذا دين الأوّلين، دين المشرك: هو التّقرب إلى الله بعبادة الصالحين يجعلهم وسائط يدعوهم مع الله ويستغيث بهم ويقول: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] نفس ما قاله الأولون سواء بسواء، كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]قال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾[الأحقاف: ٥] هم غافلون عن الدعاء: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ جميع الناس ﴿كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦] وقال عن عبّاد المسيح وأمه وغيرهم من الصالحين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يعني أولئك الذين يدعوهم أهل الشّرك﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ هم يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ الوسيلة: القربى إليه بطاعته: ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧] هذا شأنهم، يعبدون الله، ويتقربون إليه ويخافونه ويرجونه وهم أنبياء وصالحون، فإذا كنت صادقاً تريد أن تتبعهم فاعمل كأعمالهم، لا تعبدهم هم عبيد مثلك مخلوقون مرزوقون ما يملكون لك ضراً ولا نفعا كما أنّك مقر بذلك، لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فإذا كانوا هكذا وأنت تقر بهذا فادع الله الذي دعوه، واعبد الله الذي عبدوه، وانذر له، واذبح له وصلّ له وصم له، وغير ذلك من العبادات التي فعلوها، حتى تكون مثلهم، وحتى يحصل لك الأجر، والثواب والنّجاة مثلما حصل لهم، هذه حال المشركين في

زمان المؤلف وفي زماننا الآن وقبل زمان المؤلف، هذه حالهم، وهكذا في زمن قريش وهكذا قبل ذلك في زمن الأوائل زمن قوم نوح و هود وصالح كلهم هذا شركهم، نادر من يقول: إن آلهته تخلق وترزق، هذا من الشرك النّادر شرك الربوبية، أغلب المشركين شركهم في الألوهية في التعبد، وطلب النجاة والتوسل بهم بطلب شفاعتهم، طلب تقريبهم إلى الله، طلب أن يشفوا مريضهم، لا أنهم يشفون بأنفسهم لكن يشفون مريضهم بأنهم يشفعون إلى الله ويسألون الله وهم رفاة في القبور، هذا من الجهل العظيم، ميّت قد انتقلت روحه من جسده لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، هو الذي يشفع لك، هو الذي يخلصك من العذاب ومن المرض بشفاعته، هذا هو الجهل الكبير، نسأل الله العافية. نعم وفق الله الجمبع.

الأسئلة

- سؤال: ما حكم قول من قال في الصلاة على النّبي: اللّهم صلّ على محمد طبّ القلوب ودوائها؟

- **الجواب: هذا غير صحيح، وهو كلام مجمل، طب القلوب ودوائها مجمل، طب القلوب ودوائها باتّباع الشّرع، لكن هذا يوهم أنّه طبها بنفسه، وأنه دواؤها بنفسه، وأنه ينفع ويضر، هذا الكلام لا يصلح، علموا الناس الصيغة الصحيحة « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»، أو« اللهم صلّ على النّبي الأميّ» .**

- سؤال: ما حكم الطواف حول القبر إذ كان لا يعتقد أنه ينفع أو يضر، ولكن بقصد التقرب إلى الله سبحانه هل يحكم عليه بالكفر؟

- **الجواب: مثل من صلّى لهم، نعم كفر، بل كفر أكبر، كما لو صلى أودعاهم، أو استغاث بهم، أو يعتقد أنهم شفعاء يدعوهم، لا أنهم يخلقون، أو يرزقون، أو يدبرون بل يدعوهم ليشفعوا، هذا هو الشرك الأكبر. أمّا لو طاف يحسب أن هذا مشروع ويقول :أنا أقصد اللَّه ما أقصدهم، أقصد اللَّه بطوافي، يحسب أنه مشروع مثل الكعبة، فهذا بدعة ووسيلة للشرك، وهذا نادر، الطواف الذي يحصل في الغالب يقصد به التقرب إلى صاحب القبر.**

- سؤال : ما حكم الذبح عند عتبة المنزل الجديد؟.

- **الجواب: هذا كانوا يفعلونه وهو شرك أكبر ؛ لأنه عبادة للجن.**

- سؤال : إذا لم يكن مقصود به التقرب للجن ؟

- **الجواب: المعروف أنهم يقصدون بذلك الجن يقولون: نذبح لهم حتى يكفونا شرهم، نذبح لهم حتى لا يؤذوننا في بيوتنا، هذا كان موجودًا في الجنوب، لكن إن شاء الله يكون قد زال وانتهى.**

- سؤال : كثير من الطلبة يفهمون أن الشرك هو: طلب قضاء الحاجة من الأموات، أما إذا طلب منهم الشّفاعة فأنه يطلب منهم الدعاء، أي: من الأموات و يقول: هذا ما هو من الشرك الأكبر، لكن يكون من البدعة ؟

- الجواب: لا، بل هذا من الشرك الأكبر، لأنهم، لايستطيعون أن يدعوا له، ولا أن يشفعوا له، كلهم مرتهنون بأعمالهم، الدعاء والشفاعة في حياته، ولهذا لما استسقى عمر والصحابة ما استسقوا بالنبي ﷺ ليشفع لهم ؛ بل استسقوا بالعباس و بيزيد بن الأسود وبالدعاء، لو كان هذا شرعي لاستسقوا بالنّبي ﷺ ولقالوا: ادع لنا يا رسول الله وهو في قبره.

❊ ❊ ❊

الاعتراف بالربوبية لا يكفي حتى يتحقق توحيد الألوهية

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[واعلم أن هذه الشّبهه الثلاثة هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه وفهمتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها، فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة، فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك؟ فإذا قال: نعم، فقل له: بيّن لي هذا الذي فرض عليك، وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك؟ فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟ فلابد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنه عبادة ودعوت الله ليلاً ونهارا خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في هذه العبادة الله غيره؟ فلابد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا علمت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢] وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا نحرت لمخلوقٍ نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلابد أن يقرّ ويقول: نعم، وقل له أيضاً: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلابد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إيّاهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلّا فهم مقرون أنهم عبيد الله تحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جداً].

الشرح

فإذا عرفت أن هذه الشّبه الثلاث قد بان بطلانها، وهي أكبر ما عندهم، عرفت أن ما بعدها أهون منها.

تقدمت الشبهات الثلاث: قول: المشركون يشركون مع الله في الخلق والرزق وأنا لا أشرك بالله شيئاً، أعتقد أن الله هو الخالق الرازق، وتبين له أنّهم ما أشركوا في الخلق، يعرفون أن الله هو الخلاق الرزاق، كذلك إذا قال: الشرك عبادة الأصنام بيّنت له أن المشركين عبدوا الأصنام وغير الأصنام، فإذا قال: أنا لا أعبد الصالحين وإنما أتقرب إليهم ليشفعوا لي، فقل: هذا قصد المشركين ما عبدوهم لأنهم يخلقون ويرزقون، عبدوهم ليشفعوا لهم، وليتقربوا إليهم وليقربوهم إلى الله زلفى، فنفس ما فعلته هو الذي فعله المشركون.

وقد تبين بطلان هذه الشّبه، تبين أن المشركين مقرّون بأن الله هو الخلاق الرزاق وأنه ربهم وإنّما كان شركهم في غير ذلك بالتقرب إلى غير الله بالعبادات، وعرفت أيضاً أن شرك المشركين ليس مخصوصاً بعبادة الأصنام، منهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد الملائكة ومنهم من عبد الأنبياء والصالحين، وكذلك عرفت أنهم إنّما عبدوهم ليقربوهم إلى الله زلفى وليشفعوا لهم، فهذا نفس قصد الآخرين كما هو قصد الأولين.

فإذا عرفت بطلان هذه الشبه الثّلاث، عرفت أن ما بعدها أسهل منها، ومعلوم أنّ الأولين يؤمنون بأن اللَّه هو الخلّاق الرزاق ومدبر الأمور، ومع هذا حكم الله عليهم بالكفر وقاتلهم النّبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وهكذا من بعدهم، فإذا قال:أنا لا أعبد إلا الله،

فقل له: ما معنى عبادة الله فسر؟ فإذا قال: أنا أُقُرُّ بأن الله هو الخالق الرازق، قلت: مضى أن هذا قد أقرّ به المشركون، يقرون بأن الله هو الخالق الرازق وأنّه ربهم ومدبر أمورهم فإن قال: لا أعبد إلا الله ولكني أعتقد في الصالحين أنهم يشفعون ويقربون، قل: هذا هو شرك الأولين، فسر لنا عبادة الله فإذا قال: عبادة الله أن أدعوه وأطلب منه الهداية والرزق، فقل: هذه العبادة التي أنت تؤمن وتقر بأنها عبادة لله، فإذا دعوته تطلب منه الرزق و الشّفاء، والمدد، هذه عبادة، فإذا صرفتها لغير الله، إذا طلبتها من الولي من الصنم من الجن من الملائكة ألا تكون أشركت بالله في هذه العبادة، فلابد أن يقرَّ، وهكذا الصلاة والذبح إذا صلّى العبد لله وذبح لله هل هذه عبادة؟ لابد أن يقول: نعم، فإذا ذبح لغير الله، ذبح الإبل أو البقر أو الغنم للأصنام، أو صلى لها أو سجد لها ألا يكون عبادة لها؟ فلابد أن يقول: نعم.

وبهذا يتبين بطلان شبه المشركين وأن من فصّلها وانتبه لها وجادلهم بالحكمة والأسلوب الحسن يتضح الأمر لمن أراد الله هدايته، وأما من أراد الله شقاوته فلا حيلة فيه، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] قال سبحانه وتعالى وبحمده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧] من استحكمت في حقه الشقاوة لا ينتفع، يجحد ويأبى ﴿وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ فأبو جهل، وعتبة بن ربيعة وأشباههم جاءتهم الآيات، فصل لهم النّبي ﷺ الآيات ولكن كفروا عن جحد، عن عناد، كما قال تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] هكذا هم يجحدون، قال في قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ

ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] المقصود أن كثيراً من أعداء الله يأبى الحق جحداً، وعناداً، لا عن شك في ما جاء به الرسول ﷺ ولكن يحملهم الجحود، أو حبّ المال، مثلما فعل بلعام الذي انسلخ من دينه نسأل الله العافية، وهو يعلم أن موسى جاء بالحق، ومع هذا يدَعُ الحق طاعة لقومه، وإيثاراً للدنيا على الآخرة، حتى أهلكه الله وانسلخ من العلم والإيمان، نسأل الله العافية.

فالمقصود أن المشركين أقسام: منهم الجهلة وهو الأغلب، الأغلب الجهل كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان: ٤٤] هذه حال الأكثرية، ومنهم يكفر جحداً وعناداً وتكبراً، وإلا فهو يعلم أن الحق مع الأنبياء، ومع المؤمنين، لكن يقول: ما أتبع هؤلاء، ولا أكون تبعاً لهؤلاء، ولا يرضى أن يكون تبعاً للمسلمين تكبراً وعناداً وبغياً أو من أجل مال يُعْطاه أو وظيفة يأخذها فلو أسلم لنزعت منه، فيترك الإسلام من أجل الوظيفة أو من أجل المال الذي يتقاضاه، أو من أجل محبة الأقارب وأن يكون معهم في كفرهم، وما أشبهه كما جرى لكثير من كفار قريش وغيرهم، حملهم البغي والحسد والجحود والتكبر على إنكار الحق وعدم الرّضا به، كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وغيرهم، مثل أبي طالب عم النّبي ﷺ ومن أشباههم، نسأل الله العافية. الاستشفاع بالأولياء وغيرهم من جنس شرك المشركين الأولين.

الأسئلة

- سؤال: بعض المشركين يعلمون أنّ العبادة لله، لكن ما يعرفون هذه العبادة التي يجب إخلاصها لله؟

- **الجواب: نعم هم أقسام، أكثرهم لا يعرف جهلة، وبعضهم يعاند كما تقدم.**

- سؤال: بشأن إخلاص العبادة لله كلهم مقرون به فهل ينفعه ذلك؟

- **الجواب: إيه، بعضهم جاهل يحسب أن دعوته للأولياء واستغاثته بهم لا يخرجه عن كونه مسلماً، وأن هذا لا بأس به، وأنه ما دعاهم لأنهم مستقلون، بل لأنهم واسطة، فيظن أن هذه الواسطة لا حرج فيها، والواسطة هي الشرك الأكبر، هي التي فعلها قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم من المشركين من أقوام الأنبياء عليهم السلام كلهم يقولون:** ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] .

- سؤال: بعض القبوريين أو المشركين هذه الأيام، يحصرون العبادة في الصلاة، لذلك لا يُصلّون لغير الله ولو فعلوا غير ذلك من الذبح والدعاء والاسنغاثة ونحوها ؟

- **الجواب: هذا من الجهل، الله قال جل وعلا:** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، **قال:** ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النّحل: ٥١] ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العَنكبوت: ٥٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] **ما خص الصلاة فقط، وقال:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦] **وقال:** ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٥] **إلى غير ذلك من الآيات .**

- سؤال: عندنا هناك، جلسات مع الشباب

- **الجواب: في فرنسا؟**

■ السائل : إي نعم :ما يؤمنون بشيء يا شيخ، لا بخالق ولا رازق ولا بعث، مثل الشيوعيين هل هم مشركون ؟

● **الجواب: هذا أعظم من الشرك ؛ لأنه كفر وإلحاد فكفرهم أعظم من كفر قريش، فهم ملحدون لا يؤمنون برب ولا خالق ولا رازق، فكفرهم أكبر ويقولون:** ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧] .

■ سؤال : يجوز تسميتهم مشركين أحسن الله إليك ؟

● **الجواب: يسمون مشركين؛ لأنهم عبدوا أهواءهم.**

■ سؤال : أحسن الله إليك يا شيخ! من جاء إلى قبر وطلب منه أن يدعو له عند الله؟

● **الجواب: هذا شرك كذلك ؛لأن الميت لا يملك ذلك، فإذا قال له اشفع لي، ادعُ الله لي أشرك بالله على الصحيح فقد طلب منه ما لا يقدر عليه .**

■ سؤال : زعم بعض الناس أن هذا قول ابن تيمية هل هذا صحيح ؟!

● **الجواب: لا ، ليس هذا صحيح عن ابن تيمية، وقد صرح ابن تيمية أن هذا شرك أكبر.**

■ سؤال : ما صحة حديث «**الدعاء مخ العبادة**»؟

● **الجواب: فيه ضعف لكن الصحيح: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»[1] هذا أصح**

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في فضل الدعاء برقم (٣٣٧١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

ألفاظه : «الدعاء مخ العبادة» فيه ضعف، ومعناه صحيح أيّ الخالصة.

■ ســؤال : ما حكم من يقول إنّما الكفر التكذيب؟

● **الجواب: هذا جاهل، جاهل مركب، نسأل الله العافية، لو سب الله أو كذبه ما يصير كافر؟.**

■ ســؤال : ألآ يخرج من الملة يا شيخ؟

● **الجواب: بلى يصير كافرا، فالذين يرون أن الكفر هو التكذيب معناه أن الذي يصلي لغير الله، أو يسجد لغير الله ولا يكذِّب، أو يسب الله لا يصير كافرًا حتى يكذِّب، نسأل الله العافية.**

■ ســؤال : أحسن الله إليك يا شيخ بعض العوام يقول: دعوت الله عز وجل ستة أشهر أو أربعة شهور أو فترة طويلة ولم يستجب لي هل يقال له: اصبر أو ربما يؤجله الله لك في خير منها؟

● **الجواب: نعم يصبر، يقول النّبي ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِم إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالُوا إِذاً نُكْثِرُ. قَالَ «اللَّهُ أَكْثَرُ»[1]، الله حكيم عليم قد يؤجلها، قد تضره الإجابة.**

---

(١) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد بن حنبل في المسند (٣/ ١٨) ، وقال شعيب الأرنؤط إسناده جيد.

■ سؤال : بعض النّاس يصلي وراء من يتلبس بالشّرك الأكبر، يقول: إنه جاهل وهو مسلم، ويصلي وراءه فما حكم هذه الصلاة ؟

● **الجواب: إذا علم منه أنّه مشرك شركا أكبر لا تصح الصلاة خلفه، بإجماع المسلمين إذا عرف أنّه مشرك، أما إن اعتقد أنه مسلم فصلاته صحيحة .**

□ مداخلة : الصلاة خلف الكهان ما حكمها؟

● **الجواب: لا يصلى خلفه؛ لأن الكاهن قد يكون مشركاً، قد يصدق السحرة وقد يصدق المنجمين وقد يصدق غيرهم فيكون مثلهم.**

■ سؤال : دعاء الله عند القبر ما حكمه؟

● **الجواب: الدعاء عند القبر بدعة.**

■ سؤال : يسأل أحد من الطلبة يقول: ماذا يعني المؤلف من قوله: «أن الدّعاء هو مخ العبادة»؟ وهل الدّعاء هو أصل التوحيد؟

● **الجواب: «الدعاء مخ العبادة»، الدعاء من نفس العبادة، الله قال جلّ وعلا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾** [غافر: ٦٠] **ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠] **فسماها عبادة سبحانه وتعالى.**

❊ ❊ ❊

لا يجوز طلب الشّفاعة إلا من مالكها سبحانه وتعالى

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ، وتبرأ منها؟ فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشّافع والمشفع وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها لله، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾[الزُّمَر: ٤٤] ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذنه الله فيه كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبِيَاء: ٢٨] وهو لا يرضى إلّا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥] فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النّبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلّا لأهل التوحيد، تبين لك أنّ الشّفاعة كلها لله، وأطلبها منه وأقول: اللّهم لا تحرمني شفاعته، اللّهم شفعه فيّ وأمثال هذا، فإن قال: النّبي ﷺ أعطي الشّفاعة وأنا أطلبه ممّا أعطاه الله .

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيّه فيك، فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وأيضاً فإن الشّفاعة أعطيها غير النّبي ﷺ فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم، فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: (لا)، بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله].

الشرح

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسط الكلام في مسألة الشفاعة، وقد أحسن وأجاد في ذلك، وأوضح ما ينبغي إيضاحه وما فيه الحجة القاطعة لأهل الشرك، فإذا قال: أنا أطلب من الرسول ﷺ الشّفاعة، أتنكر شفاعة الرسول؟ أتبرأُ مِنْها؟ تقول: لا، لا أنكرها ولا أتبرأ منها بل أثبتها، له الشفاعة، الرسول له شفاعة، اللَّه أعطاه شفاعة وأعطى الأنبياء وأعطى الملائكة وكل ذلك حق، لكن الله أعطاهم الشّفاعة ونهاك أن تطلبها منهم، فهي ملك لله جل وعلا، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزُّمَر: ٤٤] فهي ملكه يعطيها من يشاء، نطلبها من مالكها، ثم هو سبحانه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يأذن إلّا لأهل التوحيد، ولا يرضى إلّا أعمالهم، فطلبها من شخص ـ من النّبي أو من الفرط أو من الملك أو من الولي ـ طلب ممّن لا يملك، المالك هو الله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزُّمَر: ٤٤] ثم هو وقوع في الشرك؛ لأن طلبهم والاستغاثة بهم والنذر لهم من الشرك بهم، وهذا يصادم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غَافر: ٦٠]

الواجب أن يُطلب هو سبحانه وتعالى ويخصّ بالدّعاء وتطلب منه الشفاعة؛ لأنها ملكه وهو لا يعطيها إلا من رضي الله قوله وعمله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النّجْم: ٢٦] قال سبحانه: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزُّمَر: ٧] ما يرضى لعباده الكفر، فلا بد من التوحيد الذي

يرضاه الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] هو يرضى التوحيد والإسلام واتبّاع الرسول ﷺ هذا هو الدين وهو الإسلام فإن أتيت به شفّع فيك مع الناس من أهل التوحيد في دخول الجنة، وإن دخلت النار بذنوبك كنت من أهل شفاعته، إذا متَّ على التوحيد والإسلام.

فالحاصل: أنّه إذا قال: أتنكر؟ تقول له: لا ما أنكرها بل أؤمن بها وأقرُّ بها، ولكن لابد من سؤالها من مالكها والله سبحانه لا يعطيها أحد إلا بإذنه وبرضا عمل المشفوع له: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد لا يرضى الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦] والشفاعة في أهل الموقف لا تحصل إلا بعد إذنه سبحانه، ثم الشفاعة في أهل الجنة بعد إذنه، ثم الشفاعة في العصاة بعد إذنه، فأنت ادْعُ الله، وأخلص له العبادة، وأبشر بالشفاعة، والرسول ﷺ أعطيها وأعطيها غيره أيضاً، أعطيها الأولياء والملائكة لهم شفاعة، غير الشفاعة العظمى، وغير الشفاعة في أهل الجنة، شفاعة في أهل المعاصي، فلا تقل: إني أطلب من الملائكة والأولياء، فإن قلت هذا وقعت في الشرك وفي عبادة الصالحين، التي أوضحت سابقاً أنها شرك، وإن قلت: لا يجوز فهذا هو الصواب وهذا هو الحق مع النبي ﷺ ومع غيره.

طلب الشفاعة إنما هو من الله، وأنت تأخذ بالأسباب، تتقي الله، تؤمن به، توحده سبحانه، تترك الإشراك به، تجتهد في ترك المعاصي، ومع هذا تقول: اللهم شفع في نبيك، اللهم شفع في عبادك الصالحين، اللهم شفع فِيَّ أفراطي، مع هذا كله مع الطاعة والاستقامة لا تدلَّ بنفسك وعملك، ولا تأمن، ولا تَمُنَّ على الله، ولا تعجب بعملك، احذر من الغلو واحذر من الركون إلى عملك والمنّ بعملك والإدلاء به، ولكن دائماً ترى أنك مقصر حتى يقبل الله منك وحتى يرحمك وحتى يقبل منك عملك، قال تعالى في حق أهل الإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١] قالت: عائشة ـ في هذا ـ: «أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ قَالَ: «**لَا وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ**»[1]، هكذا كان المؤمنون يعملون الصالحات وهم على خوف وعلى حذر، ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المُلك: ١٢] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦٠] يعني: يعملون ما يعملون ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ يعني: خائفة

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة وللفظ له،أخرجه الترمذي في أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ،في باب ومن سورة المؤمنين برقم (٤١٩٨). ولفظ الترمذي: قالت عائشة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون، قال «لا يا بنت الصدّيق ولكنهم الذين يصمون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون» وصححه الألباني.

مشفقة ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ يعني: من أجل إيمانهم أنهم راجعون إلى الله وأنهم ملاقوه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] هذه حال الأتقياء، مع الحذر ومع الإخلاص لله وعدم الشّرك، ومع الأعمال الصالحة، هم مع هذا قلوبهم وجلة، لا يعدون أنفسهم آمنين بل على خطر؛ لأن الإنسان محل التقصير، يخشى من ذنب فرط منه، يخشى من سيئة لم يتب منها، يخشى من عمل ما أتم شروطه، فهو على حذر، هكذا المؤمن: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[المؤمنون: ٦٠] ليسوا على أمان، ولكنهم لا يخافون، لا، وإن كان المؤمن يعلم أن من مات على الإسلام فهو على خير، ومن مات على التوحيد فهو على خير، ولكن على خطر من شر المعاصي.

فالمؤمن يعمل ويكدح ويجتهد يرجو ربه أن يتقبل منه، ويؤمن بما أخبر الله به ورسوله من نجاة الموحدين المؤمنين، ومن هلاك الكافرين، ومن كون الشفاعة عنده لا تكون لأحد إلا بإذنه، ولا تكون لأحد إلا لمن رضي الله قوله وعمله، وهو يؤمن بما أخبر الله به ورسوله، ويعمل على ضوء ذلك عمل المجد الخائف الوجل المشفق، الذي يريد الله والدار الآخرة، ويخشى ذنوبه ويخشى سيئاته، فهو على وجل، هكذا أهل الإيمان، هم مع العمل الصالح ومع الجد في الطاعة، ومع الحذر من السيئات هم على وجل، يخشون الله ويراقبونه سبحانه وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦] ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النّحل: ٥٠] هكذا أولياء الله مع الجد في الطاعة والعمل الصالح، عندهم الخوف العظيم والشفقة من الله،أن يؤخذوا بسيئة اقترفوها، أو عمل واجب فرطوا فيه، هذه حال أولياء الله، حالهم مع

الجد والنشاط والعمل حالهم الخوف والوجل، وفق الله الجميع .

الأسئلة

■ سـؤال : هل حديث: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»(١)حديث صحيح أحسن الله إليك؟

● **الجواب: نعم، والله يقول : ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] والنبي ﷺ في الحديث الصحيح يقول: «اشفعوا...» الحديث صحيح، رواه البخاري ومسلم أو أحدهما رحمة اللَّه عليهما، نعم. وقد شفع ﷺ في بريرة رضي الله عنها، وهي امرأة جارية عتيقة من تواضعه ﷺ أعتقتها عائشة رضي الله عنها شرتها عائشة وأعتقتها، وكان لها زوج عبد مملوك، فاختارت نفسها فقالت: ما أبغيه يسمى مغيث وكان يحبها كثيراً وكان يبكي، فلما رأى النبي ﷺ حاله وحبه لها أتاها وقال: «يا بريرة ! لو أنك قبلتيه ولو أنك صبرت معه، قالت: لا يا نبي الله! تأمرني أو تشفع؟ ـ ليست بسهلة هي تفهم ـ قال: لا ، ما آمرك لكن أشفع، قالت: لاحاجة لي فيه».**

■ سـؤال : رضا الله سبحانه وتعالى عن المشفوع له، أليس شرطا من شروط الشفاعة؟

● **الجواب: بلى.**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب التحريض في الصدقة والشفاعة فيها من حديث أبي موسى الأشعري برقم (١٤٣٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام برقم (٢٦٢٧).

■ ســؤال : ما معنى شفاعة النّبي ﷺ لعمه، وقبول الله عز وجل ذلك؟

● **الجواب: هذه شفاعة خاصة، شفع له ولكن لم يقبل منه أنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣] قبل أن يعلم ثمّ بعد ذلك ترك الشفاعة، لما شفع قال: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»[١] ترك الشفاعة هكذا في البخاري: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فلما نهي عنه كفّ عن ذلك .**

■ ســؤال : أبو النّبي عليه الصلاة والسلام أين مكانه في الجنة أم في النار؟

● **الجواب: أبو النبّي وأمّه كانا في الجاهلية، ماتا في الجاهلية، وفي الحديث: «إِنَّ أَبِى وَأَبَاكَ فِى النَّارِ»[٢]واستأذن ربه أن يستغفر لأمه فلم يؤذن له، لأنّها ماتت على الجاهلية على دين قومها وهو عبادة الأوثان.**

■ ســؤال : أليست هي من أهل الفترة؟

---

(١) رواه البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه في كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله برقم (٣٨٨٤)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت مالم يشرع في النزع وهو الغرغرة، ونسخ جواز الاستغفار للمشركين برقم (٢٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار برقم (٢٠٣) من حديث أنس بن مالك.

- **الجواب: ظاهر الحديث أنها من أهل الكفر، لأنّه استأذن أن يستغفر لها فلم يُؤذن له، ويحتمل أن تكون من أهل الفترة، لكن جاء في بعض الروايات أنها من أهل النار، كـ«إنّ أبي وأباك في النار»[(١)] رواه مسلم في الصحيح.**

- سـؤال: هل وصلهم بعض الشيء من تعاليم الدّيانات السابقة؟

- **الجواب: لعله جاءهم من أخبار دين إبراهيم عليه السلام ما أقام عليهم الحجة.**

- سـؤال: ما ذكره ابن هشام في السيرة من أنّه أثناء مسيره وصل إلى قبر أمّه هل هو ثابت؟

- **الجواب: هذا ثابت، هذا ثابت زارها واستأذن ربّه أن يزورها فأذن له في الزيارة، يدل على جواز زيارة قبر الكافر من أهل الجاهلية يزار للعبرة لا للاستغفار، فأذن له أن يزورها ولم يأذن له أن يستغفر لها.**

- سـؤال: ذُكر عفا الله عنك أنها: أسلمت فما رأيكم في ذلك؟

- **الجواب: هذا ليس له أصل، من قال أنّ أباه أسلم وأمه أسلمت كلها أخبار باطلة.**

- سـؤال: الجزع على الفرط من قبل الوالدين هل يمنع من الشفاعة لهما؟

---

(١) سبق تخريجه.

● **الجواب: لا، الأفراط يشفعون، والواجب على الوالدين التوبة إذا كانا قد ناحا عليه أو شقا جيبا أو لطما خدا هذا وجب عليهما التوبة وتُرجَى الشفاعة.**

■ سـؤال: ما هي الشفاعات الخاصة بالنّبي ﷺ؟

● **الجواب: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ ثلاث شفاعات: الشفاعة لأهل الموقف خاصة به، يتأخر عنها جميع الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى. الشفاعة في أهل الجنة ليدخلوا الجنة وهو الذي يستفتح بابها. شفاعة خاصة بأبي طالب شفع له أن يخفف عنه، نسأل الله العافية، نعم، كان في غمرات من النّار فشفع له حتى فصار في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه.**

■ سـؤال: ما صحة حديث: «**الشَّهِيدُ يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**»[(١)]؟

● **الجواب: الله أعلم يحتاج إلى النّظر في أسانيده.**

■ سـؤال: حديث «**شفاعة الحفظ للقرآن**»[(٢)]؟

● **الجواب: الله أعلم يحتاج إلى النظر في أسانيده.**

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء في: باب في الشهيد يشفع برقم (٢٥٢٢)، ورواه الترمذي مطولا من حديث المقدام بن معد يكرب في: باب في ثواب الشهيد برقم (١٦٦٣) وابن ماجه باب فضل الشهادة برقم (٢٧٩٩)، والإمام أحمد (ج٢/ ٩٣٥) وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه باب ما جاء في فضل قارئ القرآن برقم (٢٩٠٥)،وابن ماجه باب فضل من تعلم القرآن برقم (٢١٦) ، والإمام أحمد (ج١/ ١٤٨) وقال الألباني: ضعيف جداً .

دعاء الصالحين والاستغاثة بهم واستشفاعهم شرك

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ : رد شفاعة المشركين:

[فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من الزنا، وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره، فإنه لا يدري فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه، أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا، فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام، أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، فهذا يكذبه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يُونس: ٣١] وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع عنا ببركته ويعطينا ببركته، فقل: صدقت وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، وهو المطلوب، ويقال له أيضاً: قولك: الشرك عبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك، فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين، فلابد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين، فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله فسره لي؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي؟ فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده، فقل: ما معنى عبادة الله وحده فسرها لي؟ فإن فسرها بما بيّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرف فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه، فإن فسر ذلك بغير معناه، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] .

الشرح

هذه الكلمات والمحاجة والمناقشة التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لعباد الملائكة وعباد الأنبياء واضحة، مناقشة واضحة إذا قرأها طالب العلم اتضح له الأمر، فإنك تطالبه بما يلزمه الحجة، فإذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل: ما معنى الشّرك بالله؟ ما هو الشرك بالله؟ فإن قال: الشرك بالله هو عبادة الأصنام؟ فقل: ما معنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار والأبْنية هي التي تخلق وترزق هذا يكذبه القرآن،فهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] أمر واضح، ثم تشرح له ما معنى عبادة الأصنام، وأنها التعلق بها، والاستغاثة بها، والنذر لها، و هم يفعلون هذا عند قبور الصالحين ويرجون من الملائكة ومن الجن أن تحقق لهم

ما يطلبون فإن اعترف بأن هذا عبادة، فهو المطلوب،أنّ ما هم عليه من التعلق بالأولياء والصالحين والجن والملائكة هو شرك بالله وأنّه يكون ـ أيضا ـ بالدعاء والاسنغاثة والاستجارة وطلب البركة منهم.

وعلى كلِّ حال أنت تتنزَّل معه في كل شيء، كلما ادَّعى دعوى تنزل معه وتقول: فسرها لي؟ فإن قال: أنا لا أشرك بالله فقل له : ما معنى الشرك بالله؟ وما عبادة الأصنام؟ وما معنى عبادة الله؟ فإذا فسر ذلك بما يخالف الشرع، تقول: كيف تدعي شيء وأنت لا تعرفه؟ وإن فسره بما يوافق الشّرع، قل: الحمد لله هذا هو المطلوب، هذا هو الشّرك وهذا الذي أنتم عليه، تعلق بالأموات والأحجار تستغيثون بها، تنذرون لها، تذبحون لها، هذا هو الذي عليه المشركون من قريش وغيرهم، ولما صاح بهم الحق، وأنذرهم الرسول ﷺ، استنكروا وعجبوا من ذلك وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وقال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٧] فهم يجهلون حقيقة ما هم عليه، ويجهلون الشّرك، ويجهلون العبادة التي خلقوا لها، وإذا دعاهم داعي الحق، صاحوا به واستنكروا دعوته، لجهلهم وإعراضهم وتقليدهم لأسلافهم الضالين!!

لكن من أراد الله هدايته، عند الدعاء يتعقل ويتبيّن ويفكر ثم يوافق الحق، هكذا يكون من أراد الله له الهداية، كما جرى للصحابة في مكة وفي المدينة، من أراد الله به الهداية يقبل الحق، كالصديق وعمر بعد مدة طويلة، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وغيرهم من المهاجرين، وهكذا الأنصار الذين قدموا على النّبي ﷺ، ووفدوا إليه في مكة وعلّمهم واستجابوا للحق، وفهموا الحق، ورجعوا دعاة

لقومهم، وقد بايعوا النّبي ﷺ على أن يهاجر إليهم، وأن يبث فيهم الدّين، وينشر بينهم الدعوة.

لما أراد الله لهم الهداية، تبصروا وقبلوا الحق، وصاروا دعاة للحق بعدما كانوا دعاة للباطل، هذا هو فضل الله يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

فأنت يا عبد الله! تضرع إلى ربك، وسأله دائماً أن يمنحك التوفيق، وأن يمنحك البصيرة، وأن يفتح قفل قلبك حتى ترى الحقائق على ما هي عليه، وحتى تبصر الأمور على ما هي عليه، وعليك أن تجتهد في صحبة الأخيار، والبعد عن الأشرار، فإن صحبة الأخيار تعينك على الحق وتبصرك بعيوبك، أمّا صحبة الأشرار فهي تعمي عن الحق، وتدعو إلى الباطل، والجمود على عادات الأسلاف والأكابر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفق الله الجميع.

الأسئلة

- سـؤال: بعض الناس إذا نسي شيئا أو أراد شيئا قرأ سورة الفاتحة فما حكم ذلك أحسن الله إليك؟

- **الجواب: هذا بدعة، بل عليه أن يذكر الله فيقول: لا إله إلا الله، سبحان الله، ونحو ذلك قال تعالى:** ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

- سـؤال: بعض النّاس يقول: أنا دخيلك فما حكم ذلك؟

- **الجواب: إذا كان يقول ذلك خوفا من شيء قد يغدر به لا بأس، فالنّبي ﷺ استجار بالمطعم بن عدي لما رجع من الطائف**

بعد موت أبي طالب وكان عزيزا في جواره، فالذي يستطيع منهم مَنْعَكَ تقول له: أنا دخيلك من أهل البلد الفلاني أو من فلان أو من أبنائه، إذا كان يستطيع ذلك فلا بأس به إن شاء الله .

■ سؤال: لو قال أسألك بوجه فلان فهل هذا يصح؟

● **الجواب: إذا كان السؤال من الناس فلا بأس، أما من الله فلا يسأل الله بوجه فلان، فلو قال شخص: أسألك بحق أبيك أو بوجه أبيك لا بأس، مثلما كان عبد الله بن جعفر يقول لعمه علي بن أبي طالب: أسألك بحق جعفر[(١)] يعني: حق صلة الرحم، أما الله فلا يسأل بذلك وإنما نقول: أسألك بأسمائك الحسنى أو بإيماني بك، أو بمحبتي لك.**

■ سؤال: بعض الناس يقول: إن الحاكمية هي من خصائص الألوهية ؟

● **الجواب: لا، أخصها ترك الشرك، الحاكمية من فروع الأحكام التي يجب على الحاكم أن يحكم بها، والحاكم يجب أن يحكم بالشّرع، فإن حكم بغير الشرع عن عمد واستحلال كَفَرَ، وإن حكم بالهوى والرشوة صار معصية ومنكرا وكفرا أصغر، وهي من قضايا الشّرع التابعة لتوحيد العبادة ؟**

■ سؤال: هل تدخل في الربوبية أو في الألوهية ؟

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٠٩ برقم (١٤٧٦) بلفظ عن عبد الله بن جعفر قال: كنت أسأل عليا رضي الله عنه الشيء فيأبى علي فأقول بحق جعفر، فإذا قلت بحق جعفر أعطاني.

- **الجواب: تختلف، فأحيانا تدخل في الكفر وأحيانا تدخل في المعاصي والكفر دون الأكبر مثل مسألة الزنا وشرب الخمر، فإن استحلها تكون كفراً، وإن لم يستحلها صارت معصية.**

▪ سـؤال : بالنسبة للمفكرين الإسلاميين هل يطلق عليهم علماء ؟

- **الجواب: إذا كان عندهم علم.**

▪ سـؤال : المستشرقين مثلاً.

- **الجواب: من هم، النصارى؟**

▪ السائل : من أسلم منهم.

- **الجواب: إن كان الله هداهم للإسلام وعندهم علم يقال لهم علماء على قدر علمهم،إن كان عندهم وبصيرة بالكتاب والسنة.**

▪ سـؤال : هل الحكم بغير ما أنزل الله يشترط فيه اعتقاد ؟

- **الجواب: نعم؛ لوحكم بغير ما أنزل الله لهوى يكون كفراً دون كفر.**

▪ سـؤال : يعني إذا خالف الأحكام ؟

- **الجواب: إذا لم يستحلها مثلا، إذا كان من أجل أن يثبت في الحكم أو من أجل فلان أو فلان، وهو يعلم أنه مخطئ وظالم يكون معصية دون كفر.**

▪ سـؤال : ما حكم من يحكم بالقوانين ؟

- **الجواب: ما دام لم يستحلها فهو كفر دون كفر، فإن استحلها فهو كفر أكبر، وهكذا الزنا لو زنا بمائة امرأة لا يكفر حتى يستحله، ولو قتل مائة قتيل ولم يستحل ذلك لم يكفر مثل**

قصة الذي قتل تسعة وتسعين ثم كمل المائة «كَانَ فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا. فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا. فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي. وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي. وَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا. فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبُ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ»[1] .

■ سـؤال : مستحل الحكم بغير ما أنزل الله هل يعتبر طاغوت؟

● **الجواب: نعم يسمى طاغوت ولو لم يستحل إن حكم بغير ما أنزل الله و الطاغوت يكون طاغوتا أكبر وطاغوتا أصغر.**

■ سـؤال : من يقول إن الحكم بغير ما أنزل الله يختلف عن الزنا وعن الأحكام الأخرى بالآيات ؟

● **الجواب: ما أعلم، مثل ما صرح من الصحابة عبد الله بن عباس وغيره، كفر دون كفر، ولو أن شخصا حكم لأخيه، أو أبيه أو أمه أو صديقه أو مال في الحكم وهو يعلم أنه خالف الحق هل يكفر ؟**

■ سـؤال : قول ابن عباس : «كفراً دون كفر» ما المراد به ؟

● **الجواب: يعني الحكم بغير ما أنزل الله من غير استحلال .**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب (٥٤) برقم (٣٤٧٠)، ومسلم في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٢٩٦٦).

■ ســؤال : وإن سرق وإن زنى ؟

● **الجواب: كذلك.**

■ ســؤال : أحسن الله إليك الفعل نفسه ما يدل على الاستحلال وإقامة المحاكم والدعوة إليها ؟

● **الجواب: وإن زنى يحكم عليه بأنّه مستحل؟**

■ السائل : لا ؟

● **الجواب: إذًا وما الذي يجعله يكفر، فإن زنى أو تلوّط أو شرب الخمر، نقول له كفرت!**

❊ ❊ ❊

شرك المتأخرين أعظم من شرك العرب الأولين

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :رد شفاعة المشركين:

[فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما يكفرون لما قالوا: الملائكة بنات الله، وإنا لم نقل عبد القادر ابن الله ولا غيره، فالجواب: إن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] والأحد الذي لا نظير له، والصمد:هو المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد السورة، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] ففرق بين النوعين وجعل كلاً منهما كفراً مستقلاً، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ففرق بين كفرين، والدليل على هذا أيضاً أن الذين كفروا بدعائهم اللّات مع كونه رجلاً صالحا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك، وكذلك أيضاً العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أنّ لله ولداً فهو مرتد، ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح، وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] فقل:هذا هو الحق، ولكن لا يعبدون، ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه، و إلا فالواجب عليك حبّهم واتّباعهم والإقرار بكرامتهم ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال.. إلخ.

ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالين، وحق بين

باطلين، فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخفّ من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثاناً مع الله إلا في الرخاء وأما في الشّدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزُّمَر: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] .

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء وأمّا في الضّر والشّدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبيّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً، والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إمّا أنبياء وإمّا أولياء وإمّا ملائكة ويدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق النّاس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون لهم الفجور من الزّنا والسّرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصّالح أو الذي لا يعصي مثل

الخشب والحجر، أهون ممّن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به].

الشرح

فمن هذا البيان للشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ يتضح غاية الإيضاح لمن أراد الله هدايته في بيان حقيقة الشّرك الذي عليه الأولون، والذي عليه الآخرون، فإن الأولين شركهم واضح في حال الرخاء، يعبدون الأنبياء والصالحين والأشجار والأحجار والملائكة فإذا جاءت الشدائد أخلصوا هذا حالهم كما بيّن الله جلّ وعلا ذلك في محكم تنزيله قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢] قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] هذه حالهم في الشدائد يخلصون لله العبادة، إذا اضطربت الأمواج، وحلت بهم الكروب أخلصوا لله، فإذا جاءت السعة وجاء الأمن أشركوا بالله، أمّا المتأخرون فشركهم دائم في الرّخاء والشّدة، بل يشتد شركهم عند الشدائد، يلهجون بـ يا عبد القادر! يا شيخ أحمد البدوي! عند الشدائد وعند اضطراب الأمواج عكس ما عليه المشركون الأولون.

فإن قالوا: نحن لا نعبدهم، ولا نقول: إنهم بنات الله، المشركون الأولون أشركوا لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله، ونحن لانقول: إنّهم بنات الله، فليس شركهم بدعائهم، وإنّما شركهم بالبنات؛ لِقولهم: إنّهم بنات الله إنهم ولد الله فقل لهم: لا، هم قالوا هذا، وكفروا بهذا

وهذا، هذا كفر مستقل وهذا كفر مستقل، من نسب الولد إلى الله فهذا كفر مستقل، ودعاؤهم والاستغاثة بهم كفر مستقل، والمشركون جمعوا هذا وهذا، فإذا دعوتهم مع الله واستغثت بهم فقد وقعت في الشرك وإن لم تقل: إن الملائكة بنات الله، وإن لم تقل: إن العزير ابن الله أو المسيح ابن الله، فكونك تصرف العبادة تستغيث به، تنذر له هذا من الشرك كما قال الله جل وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: جمع الناس ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦] سمى دعاءهم عبادة، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] سمّى دعاءهم شركاً، قال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فسماهم كفرة بدعاء الملائكة، ودعاء الأنبياء ودعاء الصالحين وإن لم يقولوا: إنّهم بنات الله، فإثبات الولد لله كفر مستقل، ودعاء الملائكة أو الأموات أو الأولياء كفر مستقل، وسبّ الدين كفر مستقل، واستحلال ما حرم الله كفر مستقل، كالزّنا ونحوه، وإسقاط ما أوجب الله كفر مستقل كأن يقول: الصلاة غير واجبة، أو الحج غير واجب مع الاستطاعة، أو الزكاة غير واجبة كفر مستقل.

فإن قال لك: ﴿إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] والملائكة من أولياء الله، والصحابة من أولياء الله، واللّات من أولياء الله فقل: نعم ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[يُونس: ٦٢] بأسباب أعمالهم الصالحة، ولكن ليس معناه أنهم يدعون مع الله، هم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، ولهم أعمالهم الصالحة، ولكن ليس لك أن تدعوهم مع الله، ليس لك أن تستغيث بهم، ليس لك أن تسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكروب، أعمالهم لهم، وكراماتهم لهم، لهم كرامات ولهم أعمال صالحة، لكن ليس لك أن تدعوهم وأن تشرك بهم، بل عليك أن تحبهم في الله، وأن تتأسى بهم في الخير، ولكن ليس لك أن تدعوهم من دون الله، كما أنه ليس لك أن تدعو الأنبياء والصالحين، فكونهم أولياء الله حق، لكن هذا لا يوجب أن يدعوا مع الله، كما أن الرسل حق والأنبياء حق ولكن لا يدعون مع الله، ولا يستغاث بهم.

وبهذا يتضح بطلان هذه الشبه، وأن المشركين في ضلال بعيد وفي عمى عن الحق كما قال جل وعلا: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨] قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٤] قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ﴾ [البَقَرَة: ٧] ضلوا عن الهدى، ولم يفهموا الحق، مع بيان الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ [التَّوبَة: ١١٥] وأرسل الرسل تبشر وتنذر، وأنزل الكتب تبشر وتنذر، ولكنهم في صدود وإعراض وبعد عن فهم النصوص، والإقبال عليها، وأخذ الحق والفائدة منها، بل يغلب عليهم اتّباع أهوائهم وتقليد أسلافهم، وتغليظ أسماعهم. نسأل الله العافية.

الأسئلة

■ سـؤال: من قال: إن الاختلاف بين أهل السنة والجماعة وبين الرافضة اختلاف في الفروع فقط فما حكمه؟

● **الجواب: لا، بل هو اختلاف في العقيدة، فهم يعتقدون في أهل البيت الضّر والنفع، يدعونهم مع الله، ويستغيثون بهم، ينذرون لهم، مثل ما يفعله المشركون من كفار قريش مع اللّات والعزى والأنبياء والصالحين.**

■ سـؤال: لكن هذا الشخص الذي يقول هذا الكلام ما حكمه؟

● **الجواب: هذا جاهل بعقيدتهم، يبيّن و يوضح له عقيدتهم، هذه عقيدتهم، فهم يغلون في أهل البيت، وبالأخص علي و الحسن و الحسين و فاطمة وبنات النّبي ﷺ، وبعضهم في الحسن و الحسين خاصة؛ لأنهم يزعمون أنهم ينفعون فيستغيثون بهم، أن يخلصوهم من عذاب الله، وبعضهم يعتقد أنّ علي هو النّبي وأن جبريل خان الرسالة و يسمونه مخوَن، وبعضهم يغلو فيه ويعتقدون أنه ينفعهم إذا دعوه، وإذا استغاثوا به أغاثهم، ونفس كربتهم، ولهذا يلهجون: يا علي، يا حسن، يا حسين، يا فاطمة، مثلما نقول: يا الله يا الله.**

■ سـؤال: بعض الكتب الموجودة في الأسواق و المكتبات تقرر أن مذهب السّلف هو تفويض المعاني والكيفية؟

● **الجواب: لا، هذا غير صحيح، تفويض الكيفية فقط، والذي يقول: أنهم يفوضون المعاني غالط، مذهب السلف هو تفويض الكيفية فقط، نعرف معنى الرحمن، ومعنى الرحيم ومعنى**

السمع والبصير، ومعنى العزيز والحكيم، لكن كيفيته لا نعلمها، كيف رحمته، وكيف استوى وكيف علمه، لا نعرف الكيفية.

■ سؤال: هل هذا هو مذهب المفوضية؟

● **الجواب: نعم يسمى مذهب المفوضة، وهو مذهب باطل.**

■ سؤال: عوام الشيعة والمتصوفة وغيرهم، هل يطلق عليهم لفظ الكفر تعييناً؟

● **الجواب: هم تبع لمراجعهم فإن كانوا يعتقدون ما يعتقدون فهم تبع لهم.**

■ سؤال: يا شيخ بعض الناس يدافع عن الرافضة جهلاً بمذهبهم، وإذا نصح يقول: أنتم متعصبون؟

● **الجواب: توضح له عقائدهم، وأن نصحهم ليس تعصبا، وأن مثله كمن يدافع عن ابن أبي ربيعة، فيبيّن له ما هي عقيدتهم، وأنّهم يغلون في علي ويستغيثون بأهل البيت، وهذه عقيدتهم، فهم ككفار قريش كانوا يستغيثون باللات والعزى ومناة وهبل والأصنام التي يصرفون لها العبادة من دعاء واستغاثة.**

■ سؤال: إذا علم أن هذا التاجر رافضي، وأن بضاعته معروفة عند الناس، هل يحذر منه حتى لا يشترى منه؟

● **الجواب: هذا محل نظر،فالشراء من الكفرة جائز، والرسول ﷺ اشترى من اليهودي طعاما لأهله، لكن يبيّن لهم حتى لايتخذونهم رفقاء وأصدقاء وأصحاب، ويشتري إذا دعت**

الحاجة لا بأس، لكن لا يأكل ذبيحتهم و لا من طعامهم ولا يواليهم، ويحذر من المحبة والمولاة لهم، والتساهل معهم ويبيّن للناس كفرهم وضلالهم، وسوء أعمالهم، وأنهم يسبون الصحابة عموما، والصديق وعمر خصوصا، ويستغيثون بآل البيت، وبعلي وهذا شرك أكبر، وسب الصحابة كفر مستقل، لأن معنى ذلك تخوينهم.

■ سؤال: لو نصح رافضي في العمل ولم يستجيب وقال: أنا ما تهمني هذه الأمور، وجاء وقت الصلاة وما صلى هل يؤمر بالصلاة أولا يترك ويعامل معاملة الكفار؟

● **الجواب: لا، بل يؤمر بالصلاة؛ لأنه يدعي أنه مسلم ويجب أن يبغض في الله، ويعادى في الله، ويؤمر، ويقال له صلِّ.**

■ سؤال: ما حكم من سب الدين؟ أحسن الله إليكم.

● **الجواب: سب الدين كفر، وسب الرسول كفر، سب الدين وكذلك سب الله، وسب الصحابة جميعاً كفر.**

❊ ❊ ❊

الإقرار بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وامتثال بعض الأوامر لا يدفع عن عباد القبور الشرك

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ : في رد شبهات المشركين:

[وإذا تحققت أنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً، وأخف شركاً من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ بسمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

والجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء، وكذّبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصّلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النّبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ومن أقرّ بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحلّ دمه وماله، كما قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النِّساء: ١٥٠-١٥١] وإذا كان الله قد صرح في كتابه أنّ من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، وأنه يستحق ما ذكر، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا.

ويقال أيضاً: إذا كنت تقرّ أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصّلاة، أنه كافر حلال الدم بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، لايجحد إلا هذا، وصدق بذلك كله، ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا، ومعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النّبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويؤذنون، فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النّبي ﷺ كفر وحلّ ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبّار السماوات والأرض، سبحان الله ما أعظم شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الرُّوم: ٥٩].

الشرح

يذكر شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أن هؤلاء المشركين عبّاد القبور، وعباد الأولياء لهم شبهة يوردونها على من كفّرهم واستحل دماءهم وأموالهم وأنكر عليهم عبادتهم غير الله، وتوجههم إلى القبور والأولياء ودعائهم إيّاهم، ويقولون: إنكم شبهتمونا بكفّار قريش وغيرهم واستحللتم دماءنا وأموالنا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصلي ونصوم، ونؤمن بالبعث، كيف تجمعونا بأولئك؟

وشبههم تخفى على كثير من الناس، فيقال لهم: نعم أنتم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكن قد دلّ الشّرع على أن من جحد شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ كفر، ولو فعل كل شيء مما جاء به الرسول ﷺ، فإذا أقرّ إنسان بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، ألآ يكفر؟ سوف يقول: يكفر، وإذا جحد وجوب الزكاة أو جحد وجوب صوم رمضان أو جحد الحج مع الاستطاعة، أو لم يؤمن بالبعث والنّشور يكفر، وإن كان يصلي ويصوم، فإذا كان هذا الأمر معلوماً لديكم وأن من ترك هذه الأشياء جاحداً لها كفر، فكيف بمن جحد الشهادتين ونفى معناهما، وعبد مع الله غيره، وإذا كان من جعل مسيلمة نبياً كمحمد يكفر عند الجميع، وقاتلهم الصحابة لذلك، فكيف بمن رفع الإنسان في رتبة الربّ ﷻ، فإذا كان من جعله فوق رتبة النّبي يكفر؛ لأنه جعله نبياً ومحمد خاتم النبيين، فكيف بالذي يرفع الشخص كشمسان أو يوسف أو ابن علوان أو غيرهم، رتبة اللّه ﷻ فيدعوه ويستغيث به وينذر له ويذبح له ألا يكون أولى بالكفر ممّن رفع مسيلمة إلى رتبة النّبي ﷺ.

وهكذا من عبد الملائكة أو الجن واستغاث بهم، فقد جعلهم في منزلة الله وعبدهم مع الله، فيكون كافراً وإن صلى وصام وإن حج، وإن أتى بكل الشعائر، كما أنه لو صلى وصام وفعل كل شيء ولكنه أنكر نبوة محمد ﷺ أو أنكر أنه خاتم النّبيين كفر، ولم تنفعه هذه العبادات التي أقر بها وبهذا يتبين أن من أتى بالأمور المشروعة وأقر بها لكنه أتى بناقض بطلت تلك الأمور، إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام، من جحد وجوب الصلاة، جحد وجوب الزكاة، جحد وجوب صوم رمضان، جحد الحج، جحد البعث والنشور جحد كون محمد خاتم النبيين، يكفر عند الجمع، فإذا جحد التوحيد ولم يقر به، وأشرك مع الله في العبادة غيره، فهو أولى وأولى بأن يكون كافراً ولا تنفعه تلك العبادات التي أقر بها وفعلها، كما أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يصلون، ويصومون، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكنهم صدقوا مسيلمة أنّه نبي، فعند هذا كفروا، وهكذا من صدّق طليحة الأسدي بأنّه نبي، أو الأسود العنسي في اليمن أو المختار بن أبي عبيد الثّقفي لما أدّعوا النّبوة كفروا، وقاتلهم المسلمون، وبهذا يعلم أنه من أتى بناقض من نواقض الإسلام بطلت أعماله كلها، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٥٠] قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥١] لما فرقوا أخبر أنّهم هم الكافرون حقاً، لأنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض، قال: نؤمن مثلاً بمحمد ﷺ ولكن لا نؤمن بالبعث والنشور، أو لا نؤمن بالجنة أو ما هناك نار، أو لا نؤمن بوجوب الصّلاة أو لا نؤمن بوجوب الزكاة، أو بوجوب رمضان، كل

هذا ردة عن الإسلام كفر، ولو فعلوا ما سوى ذلك من أمور الإسلام، الناقض الواحد يكفي لبطلان ما هم عليه، وهكذا لو أقرّوا بكل شيء ولكن سبوا الله، أو سبوا الرسول أو طعنوا في الدين، أو استهزؤوا بالدين، كفروا ولم تنفعهم تلك العبادات التي يقومون بها لما أتوا بالناقض، للآية الكريمة: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النِّسَاء: ١٥٠] فهذا الذي حصل من الإيمان بالبعض والكفر ببعض هو الذي كفرهم وأبطل أعمالهم، ومن هذا قول الله جل وعلا: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التّوبَة: ٦٥-٦٦] فكفرهم باستهزائهم، وإن كانوا يصلون ويصومون، وهكذا قوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[١] تبديل الدين بالإتيان بناقض من نواقض الإسلام، هذا تبديل الدين، ولهذا عقد العلماء في جميع المذاهب باب حكم المرتد قالوا: وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، يعني بناقض من النّواقض، وفق الله الجميع.

الأسئلة

■ سؤال: يذكر العلماء يا شيخ أن أهل البادية قد يعذرون، فما هي المسائل التي قد يعذرون بها؟ أم أن هذا كان خاصا في زمن النّبي ﷺ عند بداية الإسلام؟

● **الجواب: يعذر الأعرابي وغير الأعرابي بالشيء الذي يمكن جهله به، مثل بعض أركان الصلاة، وبعض أركان الزكاة،**

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله برقم (٢٠١٦).

وبعض المفطرات، أما إذا جحد الصّلاة، لا يصلي أو جحد الصيام لا يصوم لا يعذر لأن هذا معلوم من الدين بالضرورة، كل مسلم يعرف هذا، وإنما قد يخفى على بعضهم أعمال الحج مثلا، لكن لا يخفى عليه أنه مشروع وواجب، فلا يعذر بهذا.

■ سـؤال: يذكر عن بعضهم! أحسن الله إليك! أنه لا يعرف الجنابة فيغتسل منها، فهل يعذر فيه؟

● **الجواب: قد يعذر العامي الذي لا يفهم، وخاصة النساء، ولكن يعلَّم ولا يُكفَّر.**

■ سـؤال: من وصلته كتب منحرفة وبدعية، هل يعذر في هذه الحال؟

● **الجواب: لا، لا يعذر بهذا، ولكن يعذر بأشياء قد تخفى عليه. مثل واجبات الحج وواجبات العمرة، وواجبات الصيام وما أشبه ذلك ممّا قد يلتبس عليه.**

❊ ❊ ❊

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي ﷺ، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف و شمسان وأمثالهما فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم، أتظنون أن الصحابة، يكفرون المسلمين، أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب ﷺ يكفر].

الشرح

المؤلف ﷺ محمد بن عبدالوهاب يبيّن بهذا المثال جهل الجاهلين في تكفير عبّاد القبور وعبّاد الأولياء؛ لأن جماعة في عصره، كانوا ينسبون إلى العلم وينسبون إلى أنهم مسلمون، وهم مع هذا يعبدون جماعة من الكفرة كتاج و يوسف و شمسان، ويغلون فيهم ويدعون فيهم نوعاً من الإلهية ويقولون: هذا ما يضر؛ لأنهم صالحون، والتبرك بالصالحين ودعاؤهم لا يضر.

فيبيّن لهم الشيخ ﷺ أن هذا الاعتقاد هو الكفر الأكبر، فإذا كان اعتقاد الجاهلية في اللّات و العزى و مناة وفي الملائكة وفي الأنبياء يكفرهم، هؤلاء كذلك اعتقادهم في يوسف وشمسان وتاج وفلان وفلان يكفرهم، ولا فرق في ذلك؛ لأن صرف العبادة لغير الله شرك بالله، سواء كان المعبود صنماً أو وثناً أو ولياً أو جنّياً أو ملكاً أو غير ذلك، العلة والحكمة صرف العبادة لغير الله، هذه العلة، فمتى صرفت العبادة لغير الله كائناً من كان، فهو الشرك الأكبر، كما قال جلّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ

مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المَائدة: ٧٢] قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] فدل على أن الشّرك لا يغفر، وأنّه محبط للأعمال، والجنة على صاحبه حرام، سواء كان ذلك المعبود مع الله جنياً أو ولياً أو ملكاً أو شمساً أو قمراً أو صنماً أو شجرةً أو غير ذلك الحكم عام.

لأن كل ذلك باطل كما أطلق عليه كتاب الله عز وجل يقول الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ:٦٢] ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ويقول سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة:١٦٣] ويقول جل وعلا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محَمَّد: ١٩] والنّبي ﷺ قال يوم بعث: «يا قوم! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» هكذا أمرهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عن صدق هدمت الشرك وصاروا مسلمين بذلك، أما من قالها وهو يعبد غير الله ما تنفعه كالمنافقين واليهود، وغيرهم ممن يقولها وهو يعبد غير الله، هكذا الذين غلوا في علي وعبدوه من دون الله كانوا مشركين، وهم مع هذا يقولون: لا إله إلا الله، وجدوا في عهد الصحابة يقولوا: لا إله إلا الله يقولون: إنا مسلمون.

ولهذا لما غلوا في علي وقالوا: إنّه الله ودعوه من دون الله، وجعلوه إلهاً مع الله كفروا، وقاتلهم علي نفسه وأجمع الصحابة جميعاً على قتلهم، بل رضي الله عنه ما قتلهم بالسيف، بل خد لهم الأخاديد جعل لهم الحفر في الأرض، ثم ألقاهم فيها وأحرقهم بالنار من شدة غضبه عليهم

رضي الله عنه، من شدة غضبه عليهم أحرقهم بالنار، قال ابن عباس: «لو أنّه قتلهم بالسيف، لكان أحب إلي؛ لأن النار لا يعذب بها إلا الله» لكن هو من شدة غضبه عليهم أحرقهم بالنار، لعظم كفرهم، حتى جعلوه الله (أنت هو) يعني: أنت الله، يدعونه ويغلون فيه يزعمون أنه إله يعبد، كما تفعل الرافضة الآن مع علي ومع الحسن والحسين يدعونهم ويستغيثون بهم، وينذرون لهم، وهذا الشرك الأكبر، فالرافضة هم ورثة هؤلاء الغلاة من الإمامية وغيرهم ممن يغلون في علي وفي أهل البيت، هم ورثة هؤلاء، كما يأتي في بني عبيد بن القداح.

المقصود أن الغلو في ملك أو نبي أو صحابي كعلي أو جنّي أو شجرة أو حجر أو صنم كله شرك بالله، إذا دعاه من دون الله استغاث به، نذر له ذبح له، هذا هو الشرك الأكبر.

يقول الشيخ محمد رحمه الله: أتظنون أن الغلو في تاج و شمسان وأمثالهم لا يضر، والغلو في علي يضر، هذا جهل عظيم، لو كان الغلو ما يضر في تاج ما ضر في علي من باب أولى، علي أفضل من تاج و شمسان ومع هذا الغلو فيه جعل أصحابه مشركين كفار يستحقوا القتل، كالذين يغلون في تاج و شمسان أو في غيرهما أو في عبد القادر الجيلاني أو في غيرهم أو في الحسين أو في الحسن أو في جعفر بن محمد من باب أولى، علي أفضل منهم، فالذين يغلون فيهم من دونه من باب أولى أن يكونوا كفاراً يستحقوا القتل.

وهكذا من غلا في النّبي صلى الله عليه وسلم أو في الأنبياء وعبدهم من دون الله وهم أفضل من علي يَكْفُر، فمن عبد النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو عبد إدريس أو عبد موسى أو عبد هارون أو عبد عيسى هم كفار كالنّصارى عبدوا

عيسى مع الله وصاروا من أكفر النّاس، وهكذا اليهود عبدوا عزيرا وصاروا من أكفر الناس، فالواجب على طالب العلم أن ينتبه وأن يعلم أن صرف العبادة لغير الله يكون شركا وكفراً بالله مطلقاً، سواء كانت العبادة مصروفة لنبي أو صالح أو جني أو إنسي أو شجر أو حجر كله شرك بالله، لابد أن تكون العبادة لله وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] هكذا يقول الله جل وعلا، ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النِّساء: ٣٦] ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢] وفق الله الجميع.

الأسئلة

■ سؤال: انتشار المنكرات هل يعتبر من ضعف التوحيد في الناس، أحسن الله إليك؟

● **الجواب: نعم، من ضعف الإيمان يقدم على المعاصي، وإذا قوي الإيمان ابتعد عن المعاصي، فلا يقدم على المعاصي إلا الضعيف إيمانه والقليل بصيرته و خوفه من الله.**

❊ ❊ ❊

تكفير السلف للعبيديين مع أنهم يشهدون الشهادتين

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[ويقال أيضاً: بنو عبيد القدّاح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أنّ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلّا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللّعب].

الشرح

هذا البحث ردّ على عباد القبور وعباد الأولياء في زمن المؤلف كما تقدم، فالشيخ رحمه الله يقيم الحجج عليهم؛ لأن الإنسان متى أتى بمكفر كفر، ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ لأنهم يحتجون عليه يقولون: إن كفار قريش وأشباههم لا يشهدون أن لا إله إلا الله ولا يشهدون أن محمداً رسول الله، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصلي ونصوم، تحتج علينا بالآيات التي

نزلت في كفار قريش، كفار قريش يعبدون الأصنام ولا يشهدون أن لا إله إلا الله ولا يشهدون أن محمداً رسول الله، بل كذبوه وقاتلوه، فلسنا مثلهم!

فالمؤلف بين ـ كما تقدم ـ الحجج الكثيرة التي تبيّن كفرهم وإن شهدوا أن لا إله إلا الله، كما أن المنافقين يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويصومون، ومع هذا هم أكفر النّاس وفي الدّرك الأسفل من النّار؛ لأنهم قالوا بألسنتهم ما ليس في القلوب، فهم يقولون: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهم في الباطن يكذّبون ذلك، وهكذا كَفَّر المسلمون اليهود وهم يقولون: لا إله إلا الله.

كذلك من قالها من المشركين من الذين عبدوا علياً رضي الله عنه واستغاثوا به، ومن عباد الشمس والقمر ونحو ذلك، لأنهم جعلوا آلهة مع الله، وإن صلوا وصاموا، فكذلك بنو عبيد القداح يصلون ويصومون، فلما أظهروا الرفض والغلو في أهل البيت ثم ادّعى بعضهم أنه إله وأنه يعبد من دون الله، كفّرهم المسلمون وقاتلوهم لإظهارهم الكفر والضلال ولم ينفعهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكفرهم وضلالهم بغلوهم في أهل البيت، أو بادّعاء رؤسائهم الألوهية .

وأنّهم يُعبد من دون الله واتخذوا لنفوسهم مقام الألوهية، فكفرهم المسلمون وقاتلوهم لكفرهم ولم ينفعهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لما أتوا بالمكفرات.

الأئمة في جمع المذاهب (الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية) عقدوا باباً سموه باب حكم المرتد، باب معروف أجمع عليه المسلمون عملاً بقول النبي ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[١] قول معاذ بن جبل رضي الله عنه فيمن بدل دينه: «قضاء الله ورسوله» لما أسلم يهودي ثم ارتد، قدم معاذ على أبي موسى وهو موجود عندهم يستتيبونه قال معاذ: «**لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ قَضَاءِ اللهِ وَرَسُولِهِ**»[٢] لأنه بدل دينه.

فهكذا من أقرّ بالإسلام ثم أتى بمكفر، بيّنوا رحمهم الله في باب حكم المرتد أنّه لو أتى بمكفر يكفر ولو صلى وصام ولو شهد أن لا إله إلا الله، فمثلاً: إنسان يصلي ويصوم، ثم يسب الله ورسوله يكفر ولو صلى وصام، ولو قال الصوم ليس واجباً يكفر، ولو قال الصلاة ما هي بواجبة يكفر، أو قال الزذنا حلال يكفر، أو قال الخمر حلال يكفر، ولو صلى وصام ولو شهد أن لا إله إلا الله، يطأ على المصحف برجله، ويلطخه بالبول إهانة له يكفر، أو قال إن نكاح الأم حلال، ونكاح الأخت حلال، ونكاح البنت حلال يكفر بذلك، ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، كذلك قالوا له: إذا تعلق بغير الله وعبدَ الشمس أو عبدَ القمر أو عبدَ الصنم أو عبدَ علياً أو الحسين أو فاطمة أو عبدالقادر أو البدوي أو غيره كَفَرَ، ولو صلَّى وصام، ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب حكم المرتد والمرتدة برقم (٦٩٢٣) وفي مواضع أخرى، ومسلم في كتاب الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها برقم (١٨٢٤).

المقصود أن الإنسان إذا أتى بمكفر بطلت أعماله؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١) وقوله في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥] قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وأعمالهم لا تنفع مع الشّرك بَلْ تكون هباء منثورًا، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، والحاصل أن الإنسان إذا أتى بمكفر، قولي أو فعلي أو قلبي ـ من شك ونحوه ـ كفر، حتى لو قال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله لكن عندي شك هل الجنة حق أو ما هي بحق يكفر، أو قال: عندي شك أنا ما أدري النار حق أو ما هي بحق يكفر، أو شك في أن الله في السماء أو ما هو السماء، أو فوق العرش أو ما هو فوق العرش يكفر، لأنه مكذب لله ولرسوله، أو شك في نبوة محمد قال: ما أدري هو نبي أو ليس بنبي يكفر، أو شك في نبوة أحد من الأنبياء الذين ذكرهم الله في كتابه، قال: أشك في نبوتهم كفر، أو قال: أختي أو عمتي أو خالتي حلال يجوز لي أن أتزوجها كفر، فالسنة أن من أتي بناقض من نواقض الإسلام كفر، وبطلت أعماله كلها، من صلاة وصوم وحج قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] هذا محل إجماع بين المسلمين، ولكن أهل الشرك لا يفقهون، عباد القبور وعباد الأولياء في عمى وفي ضلال، نسأل الله العافية.

هذه أشياء بينها الشيخ رحمه الله في زمانه للذين اعترضوا عليه وقالوا:

---

(١) سبق تخريجه.

إنّ محمد بن عبدالوهاب يكفر المسلمين، وأنّه جاء بدين جديد، هذا من جهلهم وضلالهم وقلة بصيرتهم، لم يأتي بدين جديد، ولكن أتي بما قاله الله ورسوله وبما سار عليه الصحابة والمسلمون، رحمه الله وجزاه الله خيرا.

الأسئلة

■ سؤال: لو قال كلمة يذكرها بلسانه دون أن يعتقدها بقلبه، هل يكفر؟

● الجواب: **نعم لو قالها وهو يضحك مثل أن يقول: محمد كذاب، أو لعاب ولو لم يعتقدها كفر، أو قال: أن الله ليس في السماء، ولو كان يلعب.**

■ سؤال: بعض المناطق يستهزئون بالذي يسمونه (مطوع) جرت حادثة ورجل نهى عن منكر فبعض الحضور قال: كل(مطوع) شرير.

● الجواب: **الأمر يختلف إن كان استهزئ به لأجل حاله أو لبسه أو مظهره أومشيته أو ثيابه أو بصورته أو بدابته فهذه معصية، أمّا إن كان يستهزئ ويستنقص ويسب الدين فهذا كفر.**

■ سؤال: هو عمّم فقال كل مطوع على شر نهوا عن منكر أو تركوا.

● الجواب: **هذا فيه تفصيل، ينظر ما قصده هل أنهم لا يتثبتون أو ماذا؟ فإن أراد أنهم أشرار لدينهم كفر، وإن أراد أنهم لا يتثبتون ولا يدعون الناس على بصيرة لا، فهي كلمات محتملة.**

■ سؤال: من استهزأ بشيء من شرائع الإسلام ثم تاب هل يلزم أن ينطق بالشهادتين ؟

● **الجواب: إذا تاب فالتوبة تجب ما قبلها .**

■ سؤال: هل يلزم أن ينطق بالشهادتين يجدد الإسلام أو لا يلزم؟

● **الجواب: لا يلزم ويكفي أنه أقرّ بخطئه وتاب يكفي. ويرى بعض الفقهاء أنه ينطق بالشهادتين هذا إقرار بما أنكره، فإذا قال الصلاة ليست واجبة أو قال الصوم ليس واجبا ثم تاب تاب الله عليه يكفي هذا .**

■ سؤال: إذا لم يأتي بشروط لا إله إلا الله السبعة فما الحكم؟

● **الجواب: إذا كان يؤمن بمعناها أو لم يعرف الشروط والعامي قد لا يعرف الشروط، المهم أنه يؤمن بالله وحده وأنه لا معبود بحق إلا الله وأن ما سواه باطل.**

■ سؤال: الذي ينفي بعض الصفات أو كلها هل يكفر؟

● **الجواب: فيه تفصيل يقام عليه الحجة فإنه قد يجهل بعض الصفات، يبيّن له مادّل عليه الكتاب والسنة، فإذا جحدها يكفر إذا جحد الرحمن أو العزيز أو الحكيم أو القدوس الملك كفر، وإن كان عاميا يبيّن له ما جاء به الكتاب العزيز والسنة الصحيحة .**

■ سؤال: إذا كان يؤول الصفات يا شيخ؟

● **الجواب: التأويل يختلف مثل الأشاعرة وغيرهم منهم يكفرهم ومنهم من لا يكفرهم والتأويل فيه شبهة بخلاف المعتزلة والجهمية فهم كفار؛ لأنهم أنكروا الصفات بالكلية وأنكروا الأسماء.**

■ سـؤال: هناك من يقول إذا قيل لك يا مطوع تقول: يا عاصي هل هذا صحيح؟

● **الجواب: يبين له أن المطوع هو المطيع لله فمن طوّع نفسه للَّه فهو مطيع للَّه وعند العامة أن المطوع دون العالم وفوق العامي، وهو عندهم لقب شريف وليس استهزاء.**

❊ ❊ ❊

من أتى مكفراً فإنه يكفر

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه، ويزكون ويحجون ويوحدون، وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فهؤلاء الذين صرح الله أنّهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح، فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق، ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى تعالى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنّهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقول ناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط فحلف رسول الله ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا، فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوه، ولا خلاف في أنّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النّبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب،

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التّعلم والتّحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه؛ أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان، وتفيد أيضاً أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبّه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النّبي ﷺ، وتفيد أيضاً أنّه لو لم يكفر فإنّه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديدا، كما فعل رسول الله ﷺ].

الشرح

يبيّن المؤلف رحمه الله أن المسلم إذا أتى ما يوجب الردة ارتد وإن قول الجهلة تكفّرون المسلمين وهم أناس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون كلام غير سديد، وأن هذا من أكبر الجهل، المسلم إذا فعل ما يوجب الردة ارتد، ولو صلى وصام، كما قال جل وعلا: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التّوبَة: ٧٤] وهكذا الذين قالوا: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التّوبَة: ٦٥-٦٦] فهم مع النبي ﷺ ومع هذا قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم، فالإنسان إذا أتى بالكفر، وإن كان من أعبد الناس فإن الكفر ينقله من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، ولهذا عقد الأئمة جميعاً باب حكم المرتد، وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، وهكذا بني إسرائيل لما قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعرَاف: ١٣٨] وكذلك بعض المسلمين وهم في طريقهم إلى حنين قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا

كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[١] ظناً منهم أن هذا جائز، وأن هذا لا بأس به، فنبّههم النّبي ﷺ على أن هذا غلط عظيم، فلو أنّهم خالفوا واتخذوا ذات أنواط لكفروا، وهكذا بنو إسرائيل لو عبدوا الآلهة، ولم ينصاعوا للحق لكفروا.

والحاصل أن هذه القصص فيها أوضح البيان، وأبين الحجة على كفر من أتى مكفراً، ولكن الذي يأتي الشيء يظنه حق ثم ينبّه لا يكفر بذلك لجهله، وإذا كان المسلم لا يجهل ذلك عليه التوبة والرّجوع إلى الله جل وعلا والإنابة ومن تاب تاب الله عليه، فالإنسان قد يقع في الكفر لأسباب كثيرة منها الجهل ومنها الهوى ومنها الطمع في الدنيا، ومنها طاعة من يرى طاعته، فإذا نُبّه وتاب إلى الله صحت التوبة ولو كانت من أعظم الذنوب إذ كل ذنب له توبة، وأعظم الذنوب الشرك، ومن تاب تاب الله عليه، قد كان جمع كثير من صناديد قريش على الكفر ثم هداهم الله فصاروا خير النّاس وأفضل الناس بعدما أسلموا وهداهم الله جل وعلا، فمنهم من أسلم بعد الحديبية ومنهم من أسلم بعد الفتح، بعد الكفر العظيم، وقتال النّبي ﷺ والصحابة، منهم أبو سفيان هو قائد الكفار يوم أحد، وقائد الكفار يوم الخندق، ومع هذا أسلم وصار من خير الناس بعد ذلك رضي الله عنه، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وغيرهم.

فالإنسان إذا تاب توبة صادقة تاب الله عليه، وإذا أتى الكفر جهلاً يبيّن له ولم يُكَفّر، كما فعل الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، والذين

---

(١) سنن الترمذي باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم (٢١٨٠)، ومسند الإمام أحمد برقم (٢١٩٤٧).

قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]يحسبون أن هذا طيب، وأنه لا بأس به فنبّهوا فتابوا ورجعوا ولم يفعلوا ما نهاهم الله عنه.

والخلاصة أن المسلم المصلي الصائم إذا أتى بمكفر وهو ينتسب إلى الإسلام لم يمتنع تكفيره لكونه مصلي وكونه ينتسب للإسلام، بل يكون بالكفر الجديد مرتداً وتبطل أعماله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وجاء في الحديث: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[(١)] وهذا الباب معروف بباب حكم المرتد، وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، فلو كان من أعبد الناس ثم سب الله أو سب رسوله، أو اتخذ الآلهة من دونه يدعوهم ويستغيث بهم أو جحد وجوب الصلاة، أو جحد وجوب الزكاة، أو جحد تحريم الزنا، أو جحد تحريم الخمر، أو ما أشبه ذلك من هذه الجزئيات بطلت الأعمال كلها، وكُفّر بهذا الشيء وصارت الأعمال كلها باطلة، فمن أتى بمكفر بطلت أعماله وصارت هباء منثورا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] .

فالواجب على كل مسلم أن يحذر ما نهى الله عنه من جميع المعاصي، وأن يكون حذره من الشرك أشد وأعظم، ولا يقول: أنا فهمت التوحيد، وفهمت الإسلام، لا، لا يأمن، بعض الناس يقول: التوحيد فهمناه، وهو جاهل، ما فهمه إلى هذا الوقت، ثم لو فهمه وتبصر فيه فليحذر ولا يأمن يسأل ربّه الثّبات، ويعتني بالتّفقه في الدّين،

---

(١) سبق تخريجه.

ويسأل ربّه عدم الزّيغ، فكم من قوم تفقهوا وتعلّموا ثمّ زاغوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله تعالى العافية.

الأسئلة

- سـؤال: إذا تاب العبد هل تعود له أعماله بعد التوبة؟

- **الجواب: إذا تاب العبد عاد على ما سلف من العمل كما قال ﷺ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ»[1] ولا ينقطع عنه إلا إذا مات على الكفر؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النِّسَاء: ١٨] فإن مات على الكفر انقطع عنه، وإلّا يبقى على الهداية، فقد أسلم وهداه الله.**

- سـؤال: إذا مات وهو مرتد هل تذهب أعماله؟

- **الجواب: يبطل كل شيء، إذا مات على الردة بطلت كلها قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفُرقان: ٢٣].**

- سـؤال: بعض الناس يقولون: المعين لا يُكفّر؟

- **الجواب: هذا من الجهل، إذا وجد فيه الكفر كُفِّر.**

- سـؤال: إذا كره الشيء ولكنه لم يجحده؟

- **الجواب: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩] من كره ما أنزل الله حبط عمله، من كره الصلاة ولو صلى أو كره الحج ولو حج أو كره تحريم الزنا أو تحريم الخمر حبط علمه كذلك.**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث حكيم بن حزام في كتاب الإيمان: باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده برقم (١٢٣).

■ سؤال: وإن لم يكره حلق اللّحى؟

● **الجواب: هذا محل نظر، فهذه فيها شبهة؛ لأن بعض العلماء لا يراها واجبة، لكن من كره شرع الله فيها كفر؛ لأنّ أقل ما يقال أنّها سنة.**

■ سؤال: لو كره ركنا واحدا من أركان الإسلام فما الحكم؟

● **الجواب:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمّد: ٩] .

■ سؤال: أحسن الله إليك يا شيخ! من اعتاد بعض الكلمات مثل: ما صدقت على اللَّه، أو الكسلان يعلم الغيب ونحو هذا ما حكمه .

● **الجواب: ما صدقت على الله يعني إذا وجد بعد تعب، ما فيها شيء وهي كلمات تقولها العامة، الذي لا يحصل على الشيء إلا بعد تعب يقول: ما صدقت على اللَّه أن حصل هذا الشيء. أما: (فلان يعلم الغيب) فهذا كفر، من قال: إن أحدا يعلم الغيب فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين قال تعالى:** ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النّمل: ٦٥] **وقال تعالى:** ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠] .

■ سؤال: الجهمية هل يشبهون المرجئة من كل وجه؟

● **الجواب: الجهمية يرون أن العبد مجبور على عمله، فهم مجبرة لا مرجئة، المجبرة يرون أن العبد مجبور ما عليه شيء، يعني يلزم على قولهم أن الله ظالم له .**

■ سؤال : يشبهون المرجئة بقولهم أن الإيمان تصديق في القلب فقط ؟

● **الجواب: الجهمية عندهم الإيمان هو المعرفة .**

❊ ❊ ❊

الرد على شبهة أن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر ولو اقترف ناقضاً من نواقضها

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال له: **«أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟»**[(١)] وكذلك قوله: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»**[(٢)] وأحاديث أخرى في الكفّ عمّن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنّ أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنّار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث ولن يفهموا، فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادّعى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات باب قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢] برقم (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر في كتاب الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم برقم (٢٥)، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة برقم (٢٢).

الإسلام، بسبب أنّه ظن أنّه ما ادّعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفّ عنه حتى يتبيّن منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النِّساء: ٩٤] أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكفّ عنه والتّثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معنى ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكفّ عنه إلّا إن تبيّن منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟**»[١] وقال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[٢] هو الذي قال في الخوارج: «**أَيْنَما لَقِيْتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[٣] مع كونهم من أكثر الناس عبادةً وتهليلاً وتسبيحاً، حتى إنّ الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة ولا ادّعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشّريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك: أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أسامة بن زيد كتاب المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد برقم (٤٢٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله برقم (٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦١١)، ومسلم كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج برقم (١٠٦٦).

الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وكان الرجل كاذباً عليهم .

وكل هذا يدل على أن مراد النّبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه].

الشرح

هذه المسألة مسألة مهمة عظيمة، أوضحها المؤلف رحمه الله وهي: تعلق المشركين بأحاديث مطلقة عامة في الأمر بالكفّ عمّن قال: لا إله إلا الله، كما ظنّوا أنّ من قالها لا يكفر ولو فعل ما فعل، وبعضهم ظن أنّه يكفر بأشياء دون الشرك لجهلهم، وقوله ﷺ لأسامة: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟**»[(١)] وقوله: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا**»[(٢)] دليل على ما درج عليه الصحابة وغيرهم في قتال المرتدين، والمعنى من ذلك أن من أظهر التوحيد والإسلام كفّ عنه، حتى يعلم منه ما يخالف ذلك، الذي قتله أسامة ظنّ أنّه قالها تعوذاً خوفاً من السلاح فقتله، فخطّأه النّبي ﷺ وبيّن له أن الواجب الكفّ عنه، حتى ينظر في أمره.

وهكذا كل إنسان لا يقول: (لا إله إلا الله)، من الكفار الذين يأبون أن يقولوها مثل كفار قريش لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥] وقالوا: ﴿أَئِنَّا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصَّافات: ٣٦] وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٦] فالذين يجحدون لا إله إلا الله إذا قالوها يكفّ عنهم حتى ينظر في أمرهم، فإن استقاموا ووحدوا الله وأخلصوا له العبادة والتزموا بالشّرع علم إسلامهم وتمّ الكفّ عنهم، أمّا من قالها وهو لا يؤمن بمعناها ولا يعتقده ، يقول: لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله، كما يفعله المنافقون، وكما فعل أصحاب مسيلمة، يقولون لا إله إلا الله ويصلون، ويقولون: مسيلمة نبيّ، قد كذّبوا قوله جل وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] كيف يكون نبياً ومحمد خاتم الأنبياء؛ فلهذا قاتلهم الصحابة؛ لأنهم زعموا في مسيلمة أنّه نبي، وهذا كفر بالإجماع، ولو قالوا: لا إله إلا الله، وهكذا الذين حرقهم علي بن أبي طالب زعموا أنه إله وأنه هو الله، فحرقهم، وهم يقولوا: لا إله إلا الله، يقولون بألسنتهم ما لا يطابق أفعالهم.

وهكذا المنافقون يقولون: لا إله إلا الله، وهم يعتقدون بطلان الدّين، وأنه لا حقيقة له ويقولونها رياءً وتعوذاً، ومع هذا قال الله في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: ١٤٥] ولن ينفعهم قول: لا إله إلا الله؛ لأنّهم قالوها بالألسنة وكفروا في المعنى الباطن ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النِّساء: ١٤٢-١٤٣] ليس لديهم إيمان، فهكذا كل إنسان يقول: لا إله إلا الله، وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وهو يعبد غير الله أو ينكر البعث والنشور، أو ينكر وجوب الصلاة، أو يستحل الزنا، أو

يستحل الخمر،يكفر بذلك عند جمىع المسلمين،ولو قال:لا إله إلا الله.

ولهذا عقد العلماء من كل مذهب باب حكم المرتد، قالوا: باب حكم المرتد، ثم فسروه فقالوا: المرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه، يعني هو الذي يأتي بناقض من نواقض الإسلام، فيكفر بذلك وإن قال: لا إله إلا الله، فلو كان يقول: لا إله إلا الله، ويصلي ويصوم ولكن يقول: الزنا حلال من شاء زنى فلا بأس، كفر عند جمىع أهل العلم، أو قال: إن الخمر حلال؛ كفر عند جميع أهل العلم، أو قال:إن عقوق الوالدين حلال؛ كفر عند جمىع أهل العلم.

فالواجب اليقظة والانتباه والتّبصر والفقه في الدين، فالمسلم يرتد إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام، ولو أتى بالبقية، فإذا كان يعبد البدوي أو يعبد النّبي ﷺ أو يعبد زينب أو يعبد الحسن أو الحسين أو علي أو غيرهم،يعبدهم ويستغيث بهم كفر، ولم ينفعه قول: لا إله إلا الله، وهكذا إذا دعا الملائكة واستغاث بهم أو بالجن كفر، ولو قال: لا إله إلا الله، وهكذا إذا دعا الأشجار أو الأحجار أو الأصنام، كما تفعل قريش مع العزّى و اللّات و مناة.

فالواجب على المسلم أن يتبصر وأن يكون على بيّنة في دينه، فالمشرك مشرك وإن قال: لا إله إلا الله، والكافر كافر وإن قال:لا إله إلا الله، حتى يؤمن بمعناها، وحتى يؤدي حقها كما قال ﷺ «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا**»[1] وهكذا إذا دعا الملائكة واستعان بهم أو بالجن كفر ولو قال لا إله إلا الله وفي حديث

(١) سبق تخريجه.

ابن عمر: «إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» فلابد من حق الإسلام وحق لا إله إلا الله، وهو التزام بدين الله، والحذر ممّا يسبب الشرك أو يسبب تكذيب الله ورسوله، ولو أن الإنسان يفعل كل عبادة، ويعتقد كل ما أوجب الله، ولكنه يقول مثلاً: ما هناك بعث ولا نشور ولا جنة ولا نارٌ، كفر عند الجميع، ولو أنه يصلي ويصوم ولو كان من أعبد الناس، وهكذا لو كان يؤمن بكل شيء ولكن يقول: الزنا حلال، أو الخمر حلال، أو الصلاة ما هي بواجبة، أو صوم رمضان ما هو بواجب، أو الحج ما هو بواجب مع الاستطاعة كَفَرَ عند الجميع، فالواجب التّنبه لهذه الأمور، وأن يكون طالب العلم على بصيرة وألّا يغتر بقول هؤلاء المرتدين، هؤلاء الجهلة الضالين، الذين يعبدون القبور ويستغيثون بالأموات، ويقولون: نحن مسلمون، نسأل الله العافية، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

الأسئلة

■ سؤال: ما حكم من يقول دعائه: يا حبيبي! يريد الله أو قال: يا مسهل أو قال: يا دليلي؟

● **الجواب: ما فيها شيء هو أحب حبيب سبحانه وتعالى، لكن إذا دعاه بأسمائه يا الله، يا رحمن أفضل؛ لأن الله عز وجل يقول:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] **لم يقل: ادعوني بحبيبي، أدعوه بأسمائه وصفاته، يا الله يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام وإن كان هو أحب حبيب لكن يُدْعى بصفاته التي بيّنها سبحانه وتعالى.**

■ ســؤال: ما حكم من سأل باللَّه لأمر ولم يجب، وما حكم من سئل بالله ولم يفعل؟

● **الجواب: النّبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ باللهِ فَأَعْطُوهُ»[1] إلا إذا كان ليس له حق فلو قال: أسألك بالله أن تعطيني من الزكاة، وهو ليس من أهلها لا يعطى، لكن إذا سأل شيئا له فيه شبهة، إذا سأل من بيت المال أو سأل لأنه فقير يعطى ما تيسر: «من سأل بالله فأعطوه» ولكن لا ينبغي أن يسأل بالله ويشدد على الناس، ولهذا قال الملك الذي جاء الأبرص والأعمى والأقرع: أسألك بالذي أعطاك كذا وكذا، سأله بالله. فالمقصود أنه إذا كان في شيء مهم وسأله بالله يعطى إذا كان له حق، أما إذا لم يكن له حق ما يعطى ولو سأله بالله، فلو قال: أسألكم بالله أن تعطوني من الزكاة وليس من أهلها فلا يعطى من الزكاة؛ لأنه ليس من أهلها، أو قال: أسألكم بالله أن تعطوني أموالكم التي عندكم كلها ولا تبقوا لكم شيئا، فلا يعطى.**

■ ســؤال: هل لأحد أن يضرب الذي يقول: لا إله إلا الله من الكفرة إذا خشي مكره وخداعه في كتفه أو في رجله؟

● **الجواب: إذا لم يقر بالتوحيد، ثم قال: لا إله إلا الله؛ يكف عنه حتى ينظر في أمره، مثلما أمر النبي أسامة، وأما إذا كان يتكلم بالتوحيد ولكن ما كف عن الشرك، فكلامه لا ينفعه،**

---

(١) رواه أبو داود من حديث ابن عمر في كتاب: الزكاة، باب عطية من سأل بالله برقم (١٦٧٢)، والنسائي كتاب الزكاة باب من سأل بالله برقم (٢٥٦٧).

لابد أن يترك الشرك ويتوب منه، فعباد البدوي وعباد الحسين أو عباد علي أو عباد اللات أو عباد الكواكب أو عباد الأصنام، إذا قالوا: لا إله إلا الله ما يكف عنهم حتى يتوبوا من عملهم، ومن شركهم وكفرهم، وهكذا من سب الله وسب الرسول ﷺ ما يكف عنه حتى يتوب من هذا.

■ سـؤال: الكافر إذا فعل كفعل الرجل الذي مع الصحابي، فأراد أن يقول: لا إله إلا الله يتعوذ بها والله أعلم بنيته، هل لي أن أقتله؟

● **الجواب: لا، لا يقتل إذا لم يكن يقولها سابقا، لا يقتل حتى يتثبت في أمره، ولو ظن أنه أراد أن يتعوذ بها مثلما قال النّبي ﷺ لأسامة.**

■ سـؤال: هل يجوز أن ضربه في يده أو رجله؟

● **الجواب: مثلما قال أسامة للنّبي ﷺ: «إنَّما قَالَها تَعوذاً، قال: هَلْ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟»[(١)] فإذا كان ما يقولها أصلاً، ثم قالها يمسك عنه، حتى ينظر في أمره.**

■ سـؤال: من قال: للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: فضولي؛ فهل هذا يُعدُّ كفرًا؟

● **الجواب: لا ما يعد كفر، يبيّن له أن هذا غلط، أقول: يبين له أن هذا الكلام غلط وأنه كلام غير صحيح، وليس هذا بفضولي، وهذا من الجهل، يبيّن له.**

---

(١) سبق تخريجه.

■ سـؤال: بعض المعاصرين ذكروا أن من قال الكفر أو عمل الكفر، فلا يكفر حتى تقام عليه الحجة، وأدرجوا عباد القبور في هذا؟

● **الجواب: هذا من جهلهم، عباد القبور كفار، واليهود كفار، والنصارى كفار، ولكن عند القتل يستتاب فإن تاب و إلّا قتل.**

■ سـؤال: لكن مسألة قيام الحجة هل لابد أن تقام عليه؟

● **الجواب: بلغهم القرآن:** ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، **بلغهم بيّن المسلمين:** ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة: ٦٧] **فقد بلغ الرسول وجاء القرآن بين أيديهم يسمعونه في الإذاعات وغيرها ولكنهم لا يبالون ولا يلتفتون، وإذا جاء أحد من غيرهم ينهاهم أعذروه .**

□ مداخلة: حديث الرجل الذي أمر أهله إذا مات أن يحرقوه ويَسْحَقوه ويذروه في البر والبحر؟

● **الجواب: هذا جهل بعض الشيء من أمور خفية، من كمال قدرة الله فعذره الله، حمله خوفه من الله، وجهل كمال القدرة فقال لأهله ما قال.**

■ سـؤال: ما رأيكم في سجود معاذ للنّبي ﷺ؟

● **الجواب: هذا إن صح، وفي صحته نظر، أقول: في صحته نظر، لكن لو صح فإن معاذًا ظن أنَّ هذا جائز عندما رأى كبار قادة المشركين فظن أنه للنّبي ﷺ أفضل، فله شبهة في أول**

الإسلام، لكن لما استقر الدين عرف أن السجود لله ولا يجوز السجود لغيره، وكان هذا قد أشكل على معاذ أما بعد فلا.

■ سؤال: من أدلتهم حديث الذي فيه لما ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام أنّه سيعطيهم فقام فخطب في الناس فقال: «أرضيتم؟ قالوا: لا»[1] قالوا: هذا تكذيب للنبي ﷺ وهو كفرفما رأيكم في ذلك؟

● **الجواب: لا، ما كذبوه، هو يسألهم: أرضيتم ويشير إلى الذي أعطاه الناقة فزاده حتى رضي، وهذا ليس بتكذيب والذي يقول هذا الكلام جاهل.**

■ سؤال: بعض الناس إذا نصح قال: ما هداني الله ﷻ فما حكمه؟

● **الجواب: يقال له: اسأل ربك الهداية فالله يقول:** ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] .

■ سؤال: ما رأيكم في أئمة بعض الطرق المنحرفة الذين يقولون: وصلنا إلى مرتبة اليقين فلا نلزمنا العبادات؟

● **الجواب: هذا كفر، عند أهل العلم بإجماع العلماء، من قال: تسقط عنه العبادات كفر بإجماع، إلّا إذا كان جنّ، أصابه الجنون.**

❊ ❊ ❊

(١) أخرج هذه القصة: أبو داود في باب العامل يصاب برقم(٤٥٣٤)، وابن ماجه في باب الجارح يفتدى برقم(٢٦٣٨)، والنسائي في باب السلطان يصاب على يديه... برقم(٤٧٧٨)، والإمام احمد ج٦/ ٢٣٢ وصححه الألباني والأرناؤوط.

بطلان شبهة القبوريين بأن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[ولهم شبهة أخرى، وهي ما ذكر النّبي ﷺ: «أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ » قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً؟

والجواب أن تقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك فاستغاثهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك، وتقول له: ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكلا، أنهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر السّلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه ﷺ].

الشرح

المشركون لهم شبَهٌ كثيرة يشبهون بها على الناس، لقلة علمهم وغلبة الجهل عليهم، واعتيادهم للباطل، فإن الإنسان إذا اعتاد الباطل

صعب عليه التخلص منه، وصار يتطلب الشّبه التي تبرر عمله، ويتعلق بخيط العنكبوت، فيقولون: ليش تنكر علينا دعوة الأموات والاستغاثة بالأموات، والناس يوم القيامة يستغيثون بآدم وبنوح وبإبراهيم وبموسى و عيسى، حتى يشفعوا لهم عند الله، هذا يدل على جواز الاستغاثة بالمخلوقين؛ لأنّ الرسول أخبر عن الناس يوم القيامة أنهم يستغيثون بآدم وبنوح وبإبراهيم و موسى حتى يشفعوا لهم فيقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، الاستغاثة بالحي غير الاستغاثة بالميت والاستغاثة بالحاضر غير الاستغاثة بالغائب، فرق بين الجميع، الناس يوم القيامة والمؤمنون يستغيثون بآدم وبنوح وبإبراهيم في أمور يستطيعونها هي الشفاعة لهم ليريحهم الله من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، تقول إنسان: اشفع لي عند فلان كذا، الذي يقدر: سلفني كذا، أقرضني كذا، هذا لا بأس، وكما يقع في الحرب يستعين الإنسان بأصحاب الحرب يتعاونون، يقول: عندك الجهة الفلانية احفظها، عندك الجهة الفلانية والآخرين يقاتلون في الجهة الأخرى، يتعاونون ويتواصون بحرب الأعداء.

وفي هذا المعنى قصة موسى مع القبطي حين قال: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القَصَص: ١٥] استغاث بموسى الإسرائيلي، استغاثه على القبطي فأغاثه موسى ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القَصَص: ١٥]، لأن موسى حاضر يستطيع، فإذا قلت لزيد أو عمرو: أغثني من خادمك أو من ولدك اكفني من شره، أو من هذا السبع؛ لأن معه بندق يرميه بها أو يضربه بشيء، ما فيه شيء، حاضر قادر، أو بالمكاتبة، إنسان غائب يكاتبه يكتب له كتاب يقول: أرسل لي كذا، أقرضني كذا بعني كذا بالمكاتبة، أو بالتلفون، ما فيه شيء، المنكر كونه يأتي إلى ميت أو

صنم أو شجر أو حجر يستغيث به هذا الشّرك الذي فعله المشركون، والاستغاثة بالغائب كالملائكة أو بالجن، هذا هو الشّرك الذي أنكره الرسل وأنكرته الأنبياء وأنكره الدعاة إلى الخير، أما استغاثة بحي حاضر قادر أو بغائب بالمكاتبة، أو بوصية إنسان يتصل به يقول له: قل له كذا وكذا، أو بالهاتف كما يحصل بالهواتف الآن المعروف بـ(التّلفون)، هذا ما هو بغائب، هذا حاضر يكلمه بالتلفون مثلما يكلم الحاضر، أو يكتب له كتابة: أقرضني كذا أو اشترِ لي كذا ما في بأس، فرق بين هذا وهذا، أما كونه يأتي الميت يقول: انصرني أنا في حسبك أنا في جوارك هذا شرك المشركين، أو يسجد له أو يذبح له أو يستغيث به أو بالغائب كالملائكة والجن، يا جن افعلوا كذا يا جبرائيل أغثني يا إسرافيل، وهم غائبون عنه لا يشاهدهم ولا يسمعون كلامه.

هذا هو الذي فعله المشركون هذا هو الشرك الأكبر، وهكذا مع الشجر ومع الصنم، أقبح وأقبح، أو مع النجوم أقبح وأقبح، نسأل الله العافية، وفق الله الجميع.

الأسئلة

- سؤال: أحسن الله إليك يا شيخ! لو أن شخصا رأى رجلا مثلاً ذاهبا إلى الجهاد في سبيل الله وقال له: إن استشهدت في سبيل الله، اشفع لي عند الله عز وجل فما حكم ذلك؟

- **الجواب: هذا يشفع بعد الموت، هذا محله بعد البعث والنشور أقول: بعد البعث والنشور. يطلب منه الآن، يوصيه وهو حي بمعنى إذا بعث يوم القيامة يشفع له.**

■ ســؤال: ما هو ضابط الدعاء الإخواني؟

● **الجواب: ما كل الناس يطلب منهم ذلك بل خواص الناس، أما أن تؤذي كل أحد بطلب الدعاء فلا، إنما تسأل خواص إخوانك وما كان النّبي ﷺ يطلب من كل أحد إنّما يروى أنه قال لعمر لما أراد العمرة: «يأ خي لا تنسنا من دعائك وقال بعد في المدينة يأخي أشركنا في دعائك فقال عمر ما أحب أنّ لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله يا أخي»[١]، وأوصاه بأويس القرني: «قال إنّه بارٌّ بأمه، من لقيه منكم فليطلبه ليستغفر له»[٢] فما قاله لكل أحد، بعض الناس كلما وجد أحد قال: ادع لي وادع لي، ينبغي للإنسان لا يفعل هذا إلا بعض الأحيان، حتى لا يؤذي إخوانه.**

■ ســؤال: المشركون وصفهم الله في كتابه أنهم يتبعون المتشابه وأنهم يتبعون الشبهات وكثير من العلماء يَرى: أنه لا يكفر حتى تزال الشبهة، كيف التفصيل في هذه المسألة؟

● **الجواب: الذي فيه شبهة تزال الشبهة، والذي ما فيه شبهة الحمد لله.**

■ ســؤال: الغائب يكلم بالهاتف، أو بالوكالة أو بالمكاتبة وهو حي هل فيه شيء؟

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر في باب أخي أشركنا في دعائك برقم (٣٥٦٢)، والإمام أحمد (ج١/ ٢٩)، وضعفه الألباني .

(٢) رواه مسلم عن أسير بن جابر عن عمر بن الخطاب : باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه برقم (٢٥٤٢) ولفظه (إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم).

● **الجواب: هذا ما فيه شيء أما تكليم الميت ليس فيه شبهة هذا هو صريح شرك المشركين، الذين يدعون اللات والعزى ومناة وأشباههم ويدعون الملائكة ويدعون الجن، هذا شرك المشركين، فالذي عنده شبهة تُزال عنه الشبهة، فدعاء الغائبين ودعاء الملائكة الغائبين ودعاء الأموات غير دعاء الحي الحاضر، وأجمع المسلمون أن لا بأس به، أن يقول للحي الحاضر: اشفع لي، ادع الله لي.**

■ سـؤال: الأبدان والأجسام التي يبعثها الله يوم القيامة هل هي التي في الدنيا ؟

● **الجواب: نعم هي، ولكن تتغير فتكون كخلق آدم ستون زراعا في السماء.**

■ سـؤال: ما هو الضابط في الشبهة المعتبرة وغير المعتبرة؟ أحسن الله إليك.

● **الجواب: الشيء الذي قد يخفى يبيّن له، فلا يظن أن سؤال الغائب ليس فيه شيء، يقال له: الغائب قسمين، الغائب إذا سألته بالمكاتبة بالهاتف ليس بشرك، إذا سألته لأنك تعتقد أنه يسمع كلامك وهو غائب وأنه ينفعك هذا الشّرك الأكبر الذي فعله المشركون مع الملائكة ومع معبوداتهم من دون الله.**

■ سـؤال: ما حكم من قال مثلاً: إن طلب الشفاعة من الميت مسألة خفية والمجتمع الذي هو فيه واقع في ذلك، بمعنى أنه لابد من البيان ؟

- **الجواب: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله» الميت إذا مات انتهى فليس له عمل:** ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فَاطِر: ١٤] **مات وانقطع فليس له عمل، وهذا هو شرك المشركين الذي قاتلهم الرسول ﷺ .**

- سؤال: من وقع في الشبهة هل يلزمه النطق بالشهادتين، أم يكفيه التوبة فقط؟

- **الجواب: إن لم ينطق بالشهادتين، يتوب ممّا فعل وإذا نطق بهما ـ كما قال بعض أهل العلم ـ فلا بأس، وإلّا فالمقصود التّوبة تحصل برجوعه عما أخطأ فيه، إن كان بدعاء الأموات تاب إلى الله من ذلك، إن كان بالذبح لغير الله تاب إلى الله من ذلك إن كان بترك الصلاة تاب إلى الله من ذلك، إن كان بجحد الصيام تاب، وهكذا، الشيء الذي كفر به، يدخل في الإسلام بالإقرار به، وإذا أتى بالشهادتين زيادة، كما قال بعض أهل العلم، لكن الصحيح أنه يدخل في الإسلام بالإقرار بالشّيء الذي جحده أو الذي صار به كافراً، مثلاً أنكر وجوب الصلاة؛ نقول: إذا تاب إلى اللّه وأقرّ بوجوبها دخل في الإسلام، أنكر تحريم الزنا نقول: إذا تاب وأقرّ بالزّنا أنّه حرام دخل في الإسلام ولو ما كرر الشهادتين لأن الشهادتين ما أنكرها. وعباد القبور كذلك إذا تابوا إلى الله واعترفوا أن الله هو المستحق للعبادة، وأنه لا يجوز دعاء الأموات ولا الاستغاثة بالأموات دخلوا في الإسلام.**

■ سـؤال : الخفاء والوضوح هل ينغير باختلاف الأزمنة والأمكنة؟

● **الجواب: نعم يتغير، كلما عظم الجهل زاد الخفاء، كلما اشتدت غربة الإسلام زاد الخفاء، لكن مادام بين المسلمين يُسمع القرآن وتُسمع السنة قد بُلِّغ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] القرآن بلاغ، ويقول سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فهو بلغه القرآن، ولو تقول له: تب إلى الله تعالى، افعل كذا، قد يخاصمك ولا يقبل منك الفائدة، أهل القبور الآن من الصعب التفاهم معهم في التوحيد إلا بشدة، ما يرضون أحد يتفاهم معهم، يرون أنهم على حق، نسأل الله العافية، إلا من رحم الله.**

■ سـؤال : هذا الكلام في التوحيد فقط أم في المسائل الغير المكفرة ؟

● **الجواب: المسائل الغير مكفرة أمرها سهل، المقصود المسائل المكفرة.**

□ مداخلة : فرق الجهمية: هل يعم الحكم فيهم عوامّهم أم فيه تفصيل؟

● **الجواب: عوامّهم معهم، إن كانوا يعتقدون ما يعتقده مراجعهم فهم مثل عوام اليهود و النصارى معهم، إنّما الشيء الذي يخفى مثل معرفة كمال القدرة في حق الذي طلب من أهله أن يحرقوه، وظن أنه إذا حرق وذريَ في اليوم الصائف، ظن أنه يفوت وأنه يسلم، فأمر الله البر والبحر أن يجمعا ما فيهما ثم قاله: ما حملك على ذلك؟ قال: خوفك يا رب! فتجاوز الله عنه.**

■ سـؤال : ما حكم من لم تصلهم الدعوة حتى الآن ؟

● **الجواب: هؤلاء ليسوا بمسلمين ولا كفار، وأمرهم إلى الله، فهم من أهل الفترة.**

■ سـؤال : من كان بين المسلمين يا شيخ ويسمع القرآن هل يتصور أنه يمتحن يوم القيامة؟

● **الجواب: ما معنى يمتحن يوم القيامة؟**

■ السائل : يمتحن كأهل الفترة؟

● **الجواب: الذي لم يبلغه الإسلام يمتحن والذي بلغه الإسلام لايمتحن.**

■ سـؤال : لكن إذا كان بين المسلمين؟

● **الجواب: الذي بلغه الإسلام لا يمتحن، قد قامت عليه الحجة بالقرآن والسنة وأمره إلى الله.**

□ مداخلة : إذا كان بين المسلمين يا شيخ؟!

● **الجواب: عندنا نحكم عليه أنه قامت عليه الحجة بالقرآن والسنة وأمره إلى الله.**

■ سـؤال : هل يوجد اليوم من يموت ولم تبلغه الدعوة؟

● **الجواب: نعم يوجد في بعض مجاهل إفريقيا وغيرها.**

■ ســؤال: كيف يمكن الجمع بين هذا القول وقول رسول الله ﷺ: **«لا تشرق الشمس ولا تغرب إلا طرق الإسلام بيتا بعز عزيز أو بذل ذليل»[(١)]؟**

● **الجواب: هذا يحتاج إلى نظر في صحته، وبِغَضِّ النظر عن صحته وعدم صحته، لا يلزم الأفراد، حتى تصلهم الدعوة:** ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] .

■ ســؤال: عند أهل القبور هل ننكر عليهم مباشرةً أم نطبق قاعدة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح؟

● **الجواب: ينصح المتعلمون منهم، فإذا تابوا هداهم الله فالحمد لله، وإن أبوا فهم كفار .**

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث نميم الدارى (ج ٤/ ١٠٣)، ومن حديث المقداد بن الأسود (ج ٦/ ٤) ولفظ المقداد «لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل ...» الحديث وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح، وروى حديث تميم الداري الحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم (ج٦/ ٤٩٠)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

بطلان احتجاج القبوريين بقول جبريل لإبراهيم حين ألقي في النار: (ألك حاجة)

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ :

[ولهم شبهة أخرى: وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار، اعترض له جبريل في الهواء، فقال له: **(أَلَكَ حَاجَةٌ)**؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النّجم: ٥] فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير، يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟!

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى: بمسألة عظيمة مهمة جداً، تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به، فهو كافر معاند ككفر فرعون و إبليس وأمثالهما وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: إن هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ولكننا لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم أو غير ذلك من

الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] .

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبيّن لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنياه أو جاه أو مداراة لأحد وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقده بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله.

أولاهما: قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللّعب، تبيّن لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراةً لأحد أعظم ممّن يتكلم بكلمة يمزح بها، والآية الثانية قوله تعالى: [النحل: ١٠٦-١٠٧] فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً أو مداراةً أو مشحّةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره.

فالآية تدل على هذا من وجهين:-

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦] فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو

الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها.

والثاني: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النّحل: ١٠٧] فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر، وإنّما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدّين] .

والله سبحانه وتعالى أعلم وأعز وأكرم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

الشرح

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ المشركون لهم شبهة غير الشبهة السابقة التي سبق الجواب عنها وهي أنهم يقولون: إنّ إبراهيم لما ألقي في النّار جاء في التأريخ أنه اعترضه جبرائيل، فقال: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وأمّا إلى الله فبلى، قالوا: فكون جبريل يعرض على إبراهيم حاجة، يدل على أنه يجوز أن يستعان بغير الله، ويستغاث بغير الله؛ لأنّ جبريل عرض، لو كان ممنوعاً ما عرضه جبرائيل، فيقال لهؤلاء: هذا من أعظم الجهل، جبرائيل ملك عظيم أعطاه الله من القوة ما أعطاه فهو عرض عليه أن ينجده ويسعفه بشيء يقدر عليه جبرائيل، فأجاب إبراهيم بأنه ليس له حاجة إليه إنّما حاجته إلى الله سبحانه وتعالى، فجبرائيل لو أمره الله أن يأخذ إبراهيم إلى جهة السماء أو إلى مكان بعيد أو يطفئ النّار استطاع، هو القوي الأمين عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التّكوير: ١٩-٢١] هو جبرائيل عليه الصلاة والسلام، هو الذي قال فيه سبحانه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النّجم: ٥-٦] فهذا مثل إنسان فقير يعرض عليه إنسان عنده أموال كثيرة

يقول: لك حاجة أعطيك، تريد لباس تريد دراهم تريد طعام؟ فيقول الفقير: ما لي عندك حاجة، أنا حاجتي أطلبها من جهات أخرى، فهل في هذا شيء، ليس في هذا شيء، إنّما الشرك الذي بين القرآن أنه شرك كونه يأتي إلى الأموات أو إلى الأشجار والأحجار يستغيث بها ينذر لها، أو إلى النجوم أو إلى الأصنام أو إلى غير هذا، فيطلب المدد أو الغوث من ميت أو صنم أو حجر أو جن أو غائب، بغير أسباب حسية، هذا هو الذي بين القرآن أنه شرك وأن الواجب على المؤمن أن يحذر ذلك، ولهذا قال جل وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] فالله سبحانه حذر مما يفعله المشركون مع أصنامهم وأوثانهم وأخبر أن أصنامهم وأوثانهم لا تملك شيئاً، وأن الملك لله وحده، مصرف الكون جلّ وعلا.

ثم ختم الكلام رَحِمَهُ اللهُ بخاتمة عظيمة وهي أنّ التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللّسان والعمل، لابد يؤمن بالله وأنه مستحق للعبادة، ولا بد أن ينطق بهذا ولابد أن يعمل بهذا، يخص الله بالعبادة، فلو أشرك بالله وقال: أنا مؤمن أن التوحيد حق، وأن الله مستحق العبادة لكن لا أريدأن أخالف جماعتي، أنا سأفعل ما لا يفعل جماعتي ولا أحب أن أخالفهم، أنا أعبد معهم القبور وأعبد معهم الأصنام وأذبح معهم لغير الله وإن كنت أعلم أن هذا باطل ولكن مجاملة لجماعتي وعدم مخالفة لجماعتي، كما فعل كفار وقريش وغيرهم ممن يعرف الحق، كما قال

تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] قال في بني إسرائيل الكافرين: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤] وقال في حق فرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] ولكنه الجحد والتكبر.

وهكذا لو اعتقد بقلبه أن الله حق وأن النّبي ﷺ حق وأن الساعة حق ولكن قال بلسانه مجاملة: لا مانع من دعاء الأموات، لا مانع من الاستغاثة بالأموات، مجاملة لقومه وإلا يعتقد خلاف ذلك أشرك بذلك؛ لأنه أجاز ما حرم الله وهو يعلم أنه شرك ، أو عمل به، قال: أنا ما أعتقده لكن أعمل به مجاملة لهم، سجد لغير الله دعا معه غير الله أشرك بالله، أو قال بلسانه التوحيد ولكن بقلبه جحد، كالمنافقين يكفرقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧] قال فيهم الله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٦] ولو قالوا: قلوبنا طيبة وسليمة، ما دام فعلوا الشرك، وفعلوا ما يوجب الكفر.

فالحاصل لابد من توحيد بالقلب واللسان والعمل، وإن وحد بقلبه في زعمه، ولكن أشرك بالقول أو بالفعل لم ينفعه، أو وحّد بالقلب واللسان ولكن أشرك بالفعل كالسجود لغير الله، والذبح لغير الله، أو وحّد الله بالفعل وبالقلب ولكن أشرك بالله في القول، فدعا مع الله غيره، واستغاث بغير الله كله درب واحد، فلا بد أن يكون التوحيد بالقلب واللسان والعمل، وفق الله الجميع. نسأل الله العافية والسلامة.

الأسئلة

- سـؤال: قصة جبريل مع إبراهيم ثابتة؟

- **الجواب: ما أعرف فيها أحاديث، إنما ذكرها المؤرخون [١] أنه قابله في الهواء وقال: أما إليك فلا، ثم قال: حسبنا الله ونعم الوكيل.**

- سـؤال: العلماء في البلاد الإسلامية الذين يرون القبوريين ويسكتون عن توسلهم بغير الله، هل هم أشد من الذين يستهزئون بالله؟

- **الجواب: هذا فيه تفصيل: إذا كان يعتقدون جواز ذلك كفروا، أمّا إذا كان تساهلاً منهم لم ينكروا المنكر، ولكنهم ما فعلوا المنكر ولا اعتقدوه فهذا تقصير منهم عن الأمر في المعروف والنهي عن المنكر، وأمّا إذا كان ترك ذلك خوفا مثل الذين كانوا في مكة لم يستطيعوا أن ينكروا المنكر خوفاً من المشركين. فهم معذورين.**

- سـؤال: الذين يعبدون القبور ويستغيثون بالجنّ لهم شركيات ظاهرة وبيّنة مثل هؤلاء إذا أتى إليهم إنسان هل يبدأ معهم بدعوة لا إله إلا الله أي الدعوة إلى التوحيد، أم يستدرجهم شيئاً فشيئاً حتى يفهمهم بعد فترة من الزمن؟

---

(١) ذكرها ابن جرير الطبري في تاريخه (١/١٤٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/١٤٦)، عن معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه ولم يسمهم بلفظ قال: جاء جبرئيل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يوثق ويقمط ليلقى في النار قال يا إبراهيم ألك حاجة: قال أما إليك فلا.

- **الجواب: هذا يبدأ معهم بالتوحيد ؛ لأن أعمالهم لا تنفعهم إلا بالتوحيد.**

■ سـؤال : بعض الناس يقولون :أنت تنفر الناس بهذا فما رأيكم.

- **الجواب: هذا جهل منهم، الرسول بدأ بالتوحيد، لم يبدأ بالصلاة ولا بالزكاة، ولا بدأ بالصدقات، بل بدأ بقوله :قولوا: لا إله إلا الله .**

■ سـؤال : ما حدُّ الإكراه الذي يجيز للعالم أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشركيات؟

- **الجواب: لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

■ سـؤال : مثل العلماء هؤلاء في البلاد الإسلامية يقولون، يقاس على من ترك النهي عن شركيات في مكة؟

- **الجواب: الواجب أن يعظوا الناس ويذكروهم ويبصروهم بالحق، ولا يشاركوهم في الكفر بالله، وذلك في أعمال الكفر، لابالقلب ولا بالفعل ولا بالقول، أمّا إذا قصر في إنكار المنكر فهذا معصية، الواجب إنكار المنكر، فإذا قصروا في إنكار المنكر فهذا معصية، الواجب إنكار المنكر، لكن إذا كانوا لا يعتقدون ذلك، ولا يفعلونه معهم ولايجاملونهم لا يصيرون بذلك كفارا، أما إذا جاملوهم وعملوا معهم المنكر عبدوا معهم القبور، سبَّ معهم الأديان، وقالوا: هذه مجاملة هذا شرك، أما إذا كان الواحد لا يجاملهم ولا يشاركهم في باطلهم ولكنه ضعيف لا يستطيع أن يجاهرهم بالإنكار عليهم، إما خوفاً من شرهم وإما طمعاً في رفدهم هذا محل النظر .**

■ سؤال: ما حدّ الإكراه الذي يعتبر رضا بالشرك؟

● **الجواب: الإكراه بالضرب أو التهديد بالقتل ليقول الشرك هذا يسمى مكره: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ [النّحل: ١٠٦] كأن يقال له: تكلم بهذا و إلا قتلناك، وإلّا يضرب بالجريد حتى يتكلم، إذا تكلم يكون مكرهاً إذا كان قلبه مطمئن بالإيمان، إذا تكلم وهو يؤمن بالله وأنه مستحق للعبادة ولكن تكلم باللسان ليدفع عنه الضرب والقتل هذا المكره؛ لأن الله شرط: ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النّحل: ١٠٦]، أمّا إذا وافقهم قلبه، وكان معهم ما هو مطمئن بالإيمان صار كافرا.**

■ سؤال: بعض العلماء المعاصرين يقولون: أنّه لا يكفر الشخص إذا قال الكفر أو فعله إلّا إذا قصد بقلبهفما رأيكم؟

● **الجواب: هذا غلط، يكفر بالقلب واللسان والعمل، إلّا إذا أكره مع الطمأنينة، أكره بالضرب و التهديد بالقتل مثل فعل عمّار و ابن مسعود وغيرهم قالوا فوافقوهم، ولكن مع الطمأنينة، فالقلب مطمئن بالإيمان موحد لله تعالى.**

■ سؤال: هؤلاء العلماء ـ يا شيخ ـ يحضرون هذه الاحتفالات ويباركونها وهم رؤساؤها؟

● **الجواب: إذا كانوا يفعلوا معهم الشرك فهم مشركون، فإذا كانت الاحتفالات مشتملة على أفعال شركية وشاركوهم فيها فهم مشركون، أما إذا كانت احتفالات أكل وشرب لا يصير مشركا، و إذا كان فيه سبٌّ لله وللرسول وهو معهم أو**

احتفالات يقرّون الكفر بالله ودعاء الأموات والاستغاثة بهم، ويرون أن هذا لا بأس به شاركوهم في الكفر. والعياذ بالله .

■ سؤال: قد يحضروا معهم ليعرفوا أفعالهم حتى يستطيعوا أن يتكلموا عنها؟

● **الجواب: هذا واجب عليه، إذا حضر لإنكار المنكر فهو مأجور مثلما كان النّبي ﷺ يحضر الحج ويتكلم معهم، ومثلما كان يدور عليهم في منى ويقول: «يا قومي! اتقوا الله اعبدوا الله وحده» يدور عليهم في محلاتهم في منى.**

■ سؤال: ما حكم حضور مؤتمرات توحيد الأديان والدعوة إليها ؟

● **الجواب: لا يجوز حضور هذه المؤتمرات ولا الدعوة إليها .**

■ سؤال: العالم الذي يسكت عن الكفّار، وهو قادر على الإنكار؟

● **الجواب: هذا يكون معصية وصاحب ذلك ظالم لنفسه،لكن لا يصير كافرا إلا إذا وافقهم عليه بقوله أو فعله أو باعتقاده في أحد هذه الأمور الثلاثة، إذا سكت عن الواجب عليه وهو إنكار المنكر، فإذا سكت صار عاصياً بسكوته؛ لأنه يقدر أن يفعل ولم يفعل، قد يقول: إني خائف، والمقصود أنّه لابد ينكر المنكر؛ لأنّ الله جلّ وعلا يقول :** ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] **وقال:** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

- سـؤال: ألآ يكون سكوتهم من الرضا بالكفر؟
- **الجواب: لا، ليس من الرضا بالكفر، ولا يلزم ذلك .**
- سـؤال: كيف يرضى بهذا؟
- **الجواب: إذا كان يشاركهم في الكفر صار كافراً مثلهم، وإذا كان يحضر مع عباد القبور وسؤال الموتى والاستغاثة بهم صار مثلهم، لكن إذا كان لا يستطيع الإنكار وهو معتزل فلا .**
- سـؤال: من قال: لا يكفر الرجل إلا إذا قصد الخروج من الإسلام بقوله أو بفعله. فما حكمه؟
- **الجواب: هذا جاهل يعلّم أن الكفر قد يكون بالقلب أو باللسان أو بالعمل. والذين قالوا: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرّائِنا هَؤُلَاءِ»[1] كفروا بالقول.**
- سـؤال: هل هذا أصل الإرجاء الذين يقولون: إن الكفر لا يكون إلا بالقلب؟
- **الجواب: يكون بالقلب واللسان والعمل عند جمهور الفقهاء.**
- سـؤال: من قال هذا هل يكون مرجئا؟
- **الجواب: المرجئة غير هذا، يقولون بأن الإيمان بالقلب واللسان، ولكن يقولون: أن هذا لا يسمى إيمان، الصلاة واجبة والزكاة واجبة ولا يسمى إيمان، وهذا غلط منهم.**
- سـؤال: هل هذا غلط في الإيمان وغلط في التكفير؟

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسير سورة التوبة ١٠ / ١٧٢.

- **الجواب: لا هذا ينظر فيه، من كفر ينظر في قوله، أما المرجئة الذين يسمون المرجئة فهم الذين لا يدخلوا العمل في الإيمان.**

- سؤال: ما حكم ! التمسح بالشبابيك وأبواب الحرم معتقداً أنّها قربى لله سبحانه وتعالى ؟

- **الجواب: هذا بدعة، وإذا كان يطلب البركة منها صار شركا، أما إذا كان يظن أنها قربى أو طاعة فهذا بدعة.**

- سؤال: هل ينكر عليه يا شيخ ؟

- **الجواب: يعلّم أنّها بدعة.**

- سؤال: إذا أكره الرجل على السجود لغير الله هل له أن يفعل أو أن الإكراه خاص بالكلام ؟

- **الجواب: لا، حتى الفعل يسجد، وهو في قلبه يعتقد أنه لا يجوز السجود لغير الله؛ لأنه مثل التخلص من الإكراه إذا كان يُضرب ويُتوعد بالقتل من القادر، فيسجد بنية السجود لله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم.**

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

❊ ❊ ❊

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة